

أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب  
ونظريات البحث اللغوي الحديث  
( في مجال: مفهوم اللغة والدراسات النحوية )

تأليف

الدكتور حسام البهنساوي

جامعة القاهرة - فرع الفيوم

كلية الدراسات العربية والإسلامية

القاهرة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مكتبة الثقافة الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

## أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديثة

( في مجال: مفهوم اللغة والدراسات اللغوية )

تمهيد :

ينبغي أن ندرك أن الربط بين الفكر اللغوي عند العرب . ونظريات البحث اللغوي الحديثة، أصبح من المسائل الملحة والقضايا الهامة . التي تطرح نفسها على أذهان العلماء والباحثين ، وبخاصة بعد ظهور علم اللغة الحديث ، كعلم مستقل ، له كيانه المتميز بين بقية العلوم الأخرى .

لقد استطاع هذا العلم ؛ الذي ثبتت أركانه ، ودعم قواعده ، أن يلج القضايا اللغوية المختلفة ، محلاً إياها ، وفق منهجية ثابتة وبقية . ونالت مسألة الربط بين التراث اللغوي القديم ، وقواعد البحث اللغوي الحديث ، أهمية واضحة لدى علماء اللغة المحدثين .

حقاً ، فإن فترة ليست بالقصيرة ، كانت الغلبة فيها لأنصار المنهج الوصفي البنوي ، الذي أولى فيه العلماء جل اهتمامهم لدراسة اللغات الحية والمنطوقة .

استمرت هذه الغلبة مهيمنة على دراسات العلماء وبحوثهم . منذ انطلاقتها على يد العالم اللغوي السويسري الشهير ، دي سوسير " De Saussure " ، رائد المدرسة الوصفية البنوية الحديثة في أوروبا وفي أمريكا والشرق العربي على السواء .

وإذا كان ظهور المدرسة الوصفية البنوية ، يُعدُّ ثورة في عالم الدراسات اللغوية ، بما فعلته في مساحة هذه الدراسات ، فحولات مسارها من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات . فإن ظهور المدرسة التوليدية التحولية ، في أمريكا ، على يد العالم اللغوي نعيم تشومسكي " N. Chomsky " ، يُعدُّ - أيضاً - ثورة لغوية كبرى في الربع الأخير من هذا القرن العشرين ، حيث بهرت هذه الثورة اللغوية - بما قدمت من نهج جديد - العديد من العلماء في أمريكا وأوروبا والشرق العربي على السواء .

إن العودة إلى التراث اللغوي . من أجل الوقوف على ما يتضمنه هذا التراث من آراء متطورة لهو من الأمور الهامة ، التي من شأنها أن تلقى على المواضع العديدة : التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي

ولا يخفى علينا مدى الفائدة الكبرى : التي يمكن أن نتوصل إليها من خلال هذا الربط ، والذي بلاشك سيظهر مدى استمرارية الفكر اللغوي عبر الزمان .

لقد جاء كتاب : " الألسنية البنيائية " <sup>(1)</sup> ليكون مثلاً حياً ، على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي ، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهمة ، وبين المفاهيم اللغوية الحديثة .

لقد استطاع تشومسكي "N. Chomsky" في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر : التي تمثل التقاءً واتفاقاً : بين معطيات نظريته التولييدية التحويلية : وبين القواعد ، التي أرساها "نيكارت" فيما تعرف باسم "قواعد بورت رويال" .

كما نذكر من هؤلاء العلماء : الذين ربطوا بين الفكر اللغوي القديم ، ونظريات البحث اللغوي الحديث والذين أرسوا له ، من منطلق اهتمامهم بهذا الجانب ، نذكر كلاً من : لوروا : <sup>(2)</sup> " M. leroy " وليميتشي <sup>(3)</sup> " G.C. lepsy " وكذلك : جورج موان : <sup>(4)</sup> " G.Mounin " وكريستيفا : <sup>(5)</sup> " J.Kristeva " وروينز <sup>(6)</sup> " R.M. Robins "

وإذا كان الربط بين التراث اللغوي القديم ، والفكر اللغوي الحديث ، قد حظي باهتمام واضح لدى العلماء الغربيين ، فإن جهود علمائنا العرب في هذا السبيل ، تعد قليلة - حقاً - إذا ما قيست بجهود العلماء الغربيين !

- 
- (1) N.Chomsky : Cartesian linguistics, New york, 1960  
(2) M. Leroy: Les grands courants de la linguistique moderne. Bruxelles , 1963, 2em, Ed, 1971  
(3) G.C, Lepschy: La linguistique structurale, trad, Francais , paris payot . 1966  
(4) G, Mounin : Histoire des linguistique des Origines au x x . siecle paris p.u.f, 1967  
(5) J, Kristeva : le langage eet inconnu, paris, seuil 1969  
(6) R.M, Robins : Ashort history of linguistics, longman 1967. Green and co lid , london and Harlow trad Francise Ed seuil 1976

إننا لا نستطيع بحال من الأحوال : أن ننهم تراثنا اللغوي العربي . بخلوه من التحليلات والملاحظات الجديرة بأن يُعاد النظر فيها من خلال ربطها بمناهج البحث اللغوي الحديث .

وعلى العكس من ذلك تماماً ، فإن اللغويين العرب ، قد أولوا اللغة العربية ، أقصى اهتمامهم ، وقدموا بالتالي الملاحظات المتعددة والقيمة حول قضايا اللغة . ولراؤهم هذه بالإمكان اعتبارها متطورة بالنسبة إلى زمانهم ، وبالإمكان لدى العودة إلى مؤلفات القدامى ، ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة . بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة : التي أتوا بها والتي بالإمكان مقارنتها ببعض المفاهيم اللسانية<sup>(١)</sup>

وإذا كان اهتمام علمائنا من الباحثين والدارسين العرب ، طي هذا النحو من الفكرة : التي لا تتناسب مع الكم الهائل من تراثنا اللغوي الذاهر ، فإن عديداً من العلماء الغربيين ، قد أولوا تراثنا العربي اهتماماً واعتباراً . وجاءت جل أعمالهم من الحمق والتحليل والدراسة ، بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية ، في لغتنا العربية ، مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات ، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى . ومن ثم فقد جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم ، ونظريات البحث اللغوي الحديث ، جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة . وإذا كان بعض علماء اللغة المعاصرين ، يرى أن تراثنا اللغوي العربي ، لم يحظ باهتمام العلماء الغربيين ، وأن الربط التاريخي بين مناهج الفرس اللغوي الحديث والفكر اللغوي العربي القديم ، حالت دون تحقيقه مجموعة من العوامل ، تتمثل في جهل علماء اللغة الغربيين باللغة العربية ، وتراثها اللغوي مما أدى إلى عدم الاهتمام بالنتائج اللغوية وعدم الاطلاع عليه . وأن هؤلاء العلماء ، قد أهملوا فترة القرون الوسطى ، بصفة عامة ، تلك الفترة التي تمثل ازدهار الفكر اللغوي العربي ، كما أنه يذكر أن نزعة الغربيين إلى تجاهل كل ما لا ينتمي للحضارة الغربية بصورة وثيقة . وأن روبنز Robins لم يخصص في كتابه " A short history of linguistics " سوى صفتين

(١) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ٧

فقط لاستعراض الفكر اللغوي العربي ، وأن كريستيفا J.Kristeva لم تخصص سوى خمس صفحات للفكر اللغوي العربي حصرتها في بيان أهمية هذا الفكر في العصور الوسطى .

حقاً ، فإن إهمال العلماء الغربيين لفعالية التراث اللغوي العربي - بعامة - من خلال ربطه بالمنهج اللغوية الحديثة ، أمر واضح ! بيد أن ذلك ، لا ينبغي أن يدفعنا إلى القول بعدم اهتمام هؤلاء العلماء الغربيين بتراثنا اللغوي العربي . فإن اعتراف هؤلاء العلماء الغربيين بتفوق الدراسات الصوتية عند العرب ، وأنه لم يسبقهم أمة من الأمم في هذا الشأن سوى الهنود ، واعترافهم بجهود العلماء العرب ، وتصنيفاتهم الجبارة في مجال الدراسات المعجمية، وأنه لم يسبقهم في هذه الدراسات سوى الصينيين . لدليل أكيد على فعالية هذا التراث ومنهجيته .

فهذا هو العالم اللغوي المستشرق : " برجشتراسر " يقول عن تفوق العلماء العرب في مجال الدراسات الصوتية أنه : " لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان : العرب والهنود " ويقول اللغوي الإنجليزي : " فيرث " : " لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين : العربية والسفسكريتية ؛ ويكرر : تمام حسان أن العلماء العرب ، قد أجادوا في دراسة مستوى الصرف إجادة ما تزال تستهوذ إعجاب اللغويين في مختلف العالم : حيث يقول : " وهذه الشعبية من دراسة اللغة ، وإجادة القول فيها ، أفردت الصرفيين العرب بمكان لا يدانيه أي مكان آخر في عالم اللغويين قديماً وحديثاً . ولا يزال كشفهم عن النظام الصرفي موضع الإعجاب والاحترام ؛ وسيظل دائماً كذلك في نظر اللغويين في مختلف أنحاء العالم (١) "

كما إن إشارة " روبنز " إلى أهمية الفكر اللغوي العربي ، إشارة جديرة بالاعتبار حيث يؤكد أن أي باحث ، لا يستطيع أن ينكر ما قدمه العرب من دراسات قيمة للفتهم ، بل أنهم أثروا على الأعمال اللغوية والتفكير الفحوى عند اليهود في دراساتهم عن العبرية ، وذلك بعد اختلاطهم بالعرب بعد انتشار الإسلام وبعد بداية التأليف العلمي العربي . (٢)

(١) اللغة العربية معناها ومعناها ١٥

(٢) Robins . Ideen und prolemlge schichte, S.7

علم اللغة - نشأته وتطوره ٢٧

لقد جعل النحاة اليهود النموذج النحوي للغة العربية أساساً لوضع قواعدهم العبرية ، وأنهم جعلوا النماذج العبرية المتنوعة في التأليف المعجمي ، أساساً ونموذجاً يحتذى في وضع المعاجم العبرية ! وبعد سعيدا القيومي ( ت ٩٤٢ م ) المولود في مصر من أشهر علماء اليهود الذين اعتمدوا على الدراسات العبرية ، فقد ألف معجماً سماه : أجرون - Agron - كما جمع رسائل نحوية بلغت نحو اثنتي عشرة رسالة بعنوان : " كتب في اللغات " كما أنه ناقش الأصوات الحلقية في سياقاتها المختلفة في مؤلفه : " كتاب الخليقة " كما أن عالماً لغوياً يهودياً آخر ، هو " يهودا بن جيجو " قد تأثر هو الآخر بالنحو العربي ، وله في ذلك دراسات قيمة في اللغة العبرية ، تتجلى فيها هذا التأثير <sup>(١)</sup>

والحق أننا لا نعدم عدداً من العلماء اللغويين الغربيين ، الذين درسوا الفكر اللغوي العربي ، بل إنهم ألفوا لذلك أعمالاً ، خصصوها لذلك ، فهذا هو برجشتراسر ، يؤلف كتاباً بعنوان : " التطور النحوي " <sup>(٢)</sup> وذلك هو اللغوي يوهان فك " يؤلف كتاباً بعنوان : " العربية " <sup>(٣)</sup> كما أن " رابين " يؤلف كتاباً بعنوان " لهجات غربي شبه الجزيرة العربية القديمة " <sup>(٤)</sup> وغيرها من المؤلفات العديدة ؛ التي قام بدراساتها وتحققها وإلقاء الضوء على محتوياتها النفيسة للفكر اللغوي العربي ، عديد من العلماء اللغويين الغربيين !

إن افتقار المجتمع العربي إلى التخصص اللغوي ، أمر يرتدي أهمية خاصة ، فهو يؤكد أن إنقاذ ما يشكل قيمة لغوية علمية من الإهمال ، لا يمكن أن يتم إلا من خلال إعمال البحث

---

(١) انظر : البحث اللغوي عند العرب ٥٠-٥٧

(٢) التطور النحوي للغة العربية . المستشرق برجشتراسر - أخرجه وصممه وعلق عليه د/ رمضان عبدالقواب - القاهرة ١٩٨٧م

(٣) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، يوهان فك - ترجمة د/ رمضان عبد القواب - القاهرة ١٩٨٠م

(٤) قام الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن أيوب بترجمة هذا الكتاب تحت عنوان : " اللهجات العربية الغربية القديمة " الكويت ١٩٨٦م

العلمي الوصفي في مجال التراث اللغوي من منطلق لغوي حديث<sup>(١)</sup>

ولعلنا في هذا الإطار من الربط بين تراثنا اللغوي ومناهج البحث اللغوي الحديث ، لا نعدم من الباحثين العرب من يولي اهتمامه في هذا الاتجاه ، على الرغم من ندرتهم ، حيث نجد الدكتور / تمام حسان ، يقدم بحثاً بعنوان : تطعيم النحو بين النظرية والتطبيق في مجلة المناهل بالمغرب في العدد ٧ لسنة ١٩٦٧ م ص ١١٢ وما بعدها . كما أنه قدم بحثاً آخر بعنوان : " إعادة وصف اللغة العربية ألسنتياً " في ندوة اللسانيات واللغة العربية بتونس ١٩٧٨ م . كما قدم الدكتور / محمود عبد السلام شرف الدين بحثاً بعنوان : " التركيب ومدى عناية اللغويين العرب بدراسته في مجلة اللسان العدد ١٢ لسنة ١٩٧٦ م ص ١٠٨ وما بعدها . ولستنا نعلم في هذا السبيل بعض المؤلفات ، نذكر منها كتاب : النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج . للدكتور / عبد الرأحى بيروت ١٩٧٩ م وكتاب : نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث للدكتور / نهاد الموسى بيروت ١٩٨٠ م كما أن كتاب : الأصول ، دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، للدكتور / تمام حسان ١٩٨٢ م يعد إسهاماً في هذا السبيل . وكذا كتاب قواعد تحويلية للغة العربية ، للدكتور / محمد علي الخولي الرياض ١٩٨١ م وكتاب : العربية وعلم اللغة البنيوي للدكتور / حلمي خليل وكتاب : الألسنة التحويلية وقواعد اللغة العربية ، بيروت ١٩٨٢ م وكتاب : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون بيروت ١٩٩٢ م وكتاب : بحوث ألسنية عربية ، بيروت ١٩٩٢ وجميعها للدكتور / ميشال زكريا ، تعد - أيضاً - إسهاماً في هذا السبيل .

هذه المؤلفات وغيرها تعد إسهاماً جليلاً في إلقاء الضوء على مدى التقاء الفكر اللغوي العربي القديم أو اختلافه مع مناهج البحث اللغوي الحديث .

إن مثل هذا العمل يعد مطلباً ملحاً ، وأمرأ ينبغي أن تتبناه المؤسسات العلمية والمجامع اللغوية والهيئات المتعددة المعنية بدراسة تراثنا العربي .

فالجهد الذي ذكرناها ، قد توصل العديد من أصحابها إلى نتائج جد مهمة . حيث أثبتت بعض هذه الدراسات أن الفكر اللغوي العربي ، له فضل السبق في كثير من القضايا



والمباحث اللغوية ، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث - سواء أكانت هذه المناهج الوصفية البنيوية ، التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة ، زمناً ليس بالقصير ، منذ أن أسس معطيائه اللغوي السويسري ، دي سوسير في أوائل القرن العشرين ، أم كانت هذه المناهج ، التوليفية التحولية ، أحدث المناهج اللغوية الحديثة وأدقها والذي نال من الشهرة والظهور والاهتمام قدرأ كبيراً ، في الربع الأخير من القرن العشرين . ويهتم هذا البحث بالربط بين التفكير اللغوي عند العرب ، وبين المناهج اللغوية الحديثة وبخاصة في مجالين اثنين .

المجال الأول : ويتمثل في مفهوم اللغة عند العلماء العرب .

المجال الثاني : ويتمثل في الجهود النحوية عند العلماء العرب .

### المبحث الأول :

#### مفهوم اللغة عند العلماء العرب :

لقد اهتم بعض العلماء العرب بتعريف اللغة وتوضيح ماهيتها ، فقاموا بوضع تعريفات جديدة بمناقشتها وبيان مدى فعاليتها وصلاحها ، والحق أن نظرة متفحصة في هذه التعريفات تؤكد لنا باليقين العلمي أن هذه التعريفات - على قدمها - تلقى على قدم المساواة ، وإن لم تسبق في بعض النقاط - مع أحدث التعريفات اللغوية لمفهوم اللغة . وإن استمراضاً لتعريفات العرب لمفهوم اللغة ، من شأنه أن يؤكد هذه المقولة .

- لقد قدم لنا اللغوي الألماني " ابن جنى " تعريفاً للغة في باب القول على اللغة وما هي ، يقول فيه : " أما حدثها ، فإنها أصوات يُعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم . وهذا حدثها ، وأما اختلافها فلما سمنكره في باب القول عليها : أمواضعة هي أم إلهام " (١)

فحدثُ اللغة عند ابن جنى عبارة عن أمور ثلاثة وهي : (٢)

(١) الخصائص ١ / ٢٢ .

(٢) انظر : بحوث السلفية عربية ٦٠



١ - اللغة عبارة عن أصوات . ٢ - اللغة وسيلة التعبير عن أغراض الأقوام .

٢ - تنوع اللغات وتعددتها بحسب أقوامها ومتكلمها .

قدم ابن جني إلى جانب هذه التعريف مجموعة أخرى من التعريفات ، حول أصل اللغة ومفهومها ، وقد خصص لذلك باباً سماه : باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح<sup>(١)</sup> استعرض فيه قول القائلين بأنها إلهام ، ذاكراً أن شيخه أبا علي رحمه الله قال: إنها من عند الله ، وأنه احتج على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ أَنْتُمْ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة ٢/٢٨) . كما استعرض رأي القائلين بأن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة ، " وذلك كان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء بالمعلومات ، فيضعوا لكل واحد منهما سمة ولفظاً ، وإذا ذكر عُرف به مسماه ، ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحصائه إلى مرآة العين ... " (٢) كما استعرض - أيضاً - قول بعضهم: " أن أصل اللغات كلها ، إنما هو من الأصوات المسموعة ، ككوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشعيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل . " (٣) ثم يقول بعد ذلك كله : " إنني على تقادم الوقت ، والتقليد عن هذا الموضع ، فأنجد النواهي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة الجهات التناول على فكري ، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام ظنوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ومنه ما حنوته على أمثلتهم ، فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميّه وآماده ، صحة . ماؤفقوا لتقويمه منه . واطلب ما أسعوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة بأنها من عند الله جلّ وعزّ ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وأنها وهي " (٤)

(١) الخصائص ١ / ١٠

(٢) الخصائص ١ / ١٠ - ١١

(٣) الخصائص ١ / ١٤ - ١٦

(٤) الخصائص ١ / ٤٦ - ٤٧

(٥) الخصائص ١ / ٤٧

كما يعرفها ابن سنان الخطابي بقوله : " اللغة هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام " (١) وقد شرح ذلك ابن جنى ، فيما سبق عرضه عن رأى القائلين بالاصطلاح في أصل اللغة ، ويهمننا أن تذكر أمرين صدد التعريف وهما :

١ - اللغة من وجهة نظر هؤلاء اصطلاح واتفاق بين متكلميها .

٢ - اختلاف الاصطلاح والاتفاق باختلاف الأقوام .

كما يعرفها ابن الحاجب بقوله : " حدُّ اللغة ، كل لفظ وضع لمعنى " (٢) ويتفق معه الأسنوى في تعريفه بقوله : " اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني " (٣) ويتفق معهما - كذلك - الكيا الهراسي في تعريفه اللغة في قوله : " قوضعوا الكلام دلالة ، ووجدوا اللسان أسرع الأعضاء حركة وقبولاً للترداد " (٤) بيد أن الكيا الهراسي يفصل لنا رأيه قائلاً : " وهذا الكلام ، إنما هو حرف وصوت ، فإن تركه سدى غفلاً امتد وطال ، وإن قطعه تقطع ، فقطعوه وجزؤوه على حركات أعضاء الإنسان ، التي يخرج منها الصوت ، وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم ؛ فوجدوه تسعة وحشرين حرفاً لا تزيد على ذلك ، ثم قسموها على الحلق والصدر والشفة واللثة ، ثم رأوا أن الكفاية لا تقع بهذه الحروف ؛ التي هي تسعة وحشرون حرفاً ، ولا يحصل له المقصود بإفرادها فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً ، هذا هو الأصل في التركيب ، وما زاد على ذلك يُستقل فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف إلا بطريق الإلحاق والزيادة لحاجة ، وكان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير أنه لا يمكن ذلك لأن هذه الكلمات متناهية ، وكيف لا تكون متناهية مواردها ومصادرهما متناهية ؟ (٥) فلبت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة

(١) سر الفصاحة ١ / ٢٢

(٢) المزمع ١ / ٨

(٣) المزمع ١ / ٨

(٤) المزمع ١ / ٣٦

(٥) يتفق هذا القول في جزئه الأول : القائل بأن موارد اللغة ومصادرهما متناهية ، يتفق مع الرأى الذي ذكره صمبوات وأقره عليه تشومسكى ، من محدودية وسائل اللغة ، في حين يختلف في جزئه =

وحدة لسميات عدة . ثم وضعوا بإزاء هذا على تقيضه كلمات لمعنى واحد والصاع  
مجبولة على معاداة المعكادات ، فخالقوا بين الألفاظ والمعنى الواحد <sup>(١)</sup>

والحق أن التعريفات الثلاث السابقة لكل من ابن الحاجب والأسنوى والكياء الهراسي  
تركز على أمور خمسة وهي

١- اللغة عندهم جميعاً عبارة عن مواضعة واصطلاح

٢- اللغة عند كل من ابن الحاجب والأسنوى ، وضعت للدلالة على المعاني .

٣- اللغة عبارة عن أصوات يريد بها اللسان ، كما ينفرد بذلك الكياء الهراسي

٤- أصوات اللغة محدودة متناهية .

٥ - مفردات اللغة وكلماتها محدودة هي الأخرى ومتناهية

وهذه ابن خلدون في مقدمته بقوله : " اعلم أن اللغة في المعارف عليه ،  
في عبارة المتكلم من مقصوده ، وبذلك العبارة فعل لسانى فاشى عن القصد بإفادة الكلام ،

---

== الثاني : المقاتل بأن الكلمات متناهية : عن رأي هبواته السابق ، الذى ذكره تليومسكى قائلاً  
بأن " اللغة تستخدم بشكل محدود ، وأن قواعد اللغة ، يجب أن تصف العمليات التى تجعل هذا ممكناً  
" مظاهر النظرية النحوية ٢٥ ويقول أيضاً : " من الآن فصاعداً ، نعتبر اللغة كناية عن مجموعة  
(متناهية أو غير متناهية ) من الجمل ، كل جملة منها طولها محدود ، ومكونة من مجموعة متناهية من  
العناصر ، وكل اللغات الطبيعية فى شكلها المكتوب والمنطوق تتوافق مع هذا التعريف ، وذلك لأن كل لغة  
طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات ، وكل جملة بالإمكان تصورها كمتابع من الفونيمات طماً  
بأن عدد الجمل غير متناه " Syntactic structure, p15 , 1957, the Hague Mouton trad  
francaise Ed seuil, 1969"

ولمنا نلمس بوضوح من خلال هذا النص - رؤية بنيوية - جديدة بالاعتبار - عندما يستحق الكياء  
الهراسي من الأصوات التى تخرج من لقصى الرثة إلى منتهى الفم - وأنه لا يحدث بإفرادها  
المقصود ، فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً . وقوله " هذا هو الأصل فى التركيب "

انظر المزمهر ١ / ٣٦ - ٣٧

(١) المزمهر ١ / ٣٦ - ٣٧

فلاند أن نصير ملكة متكررة في العضو القاعل وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها<sup>(١)</sup> ثم يؤكد ابن خلدون أن اللغة ، إنما هي وسيلة التعبير الإنساني بعامة ، حيث يقول كل منهم أهل المغرب والأندلس والمشرق - متوصل بلفظه إلى تلبية مقصوده ، والإبانة عما في نفسه ، وهذا هو معنى اللسان واللغة<sup>(٢)</sup> كما يذكر ابن خلدون أن " المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إضافة تامة ويدل عليه دلالة دقيقة " (٣)

وليس من شك في أن تعريف ابن خلدون السابق لمفهوم اللغة ، يعدُّ تعريفًا دقيقًا ، يتفق في كثير من جوانبه ، مع أحدث ما توصلت إليه قرائع علماء اللغة الغربيين المعاصرين ، على الرغم من التباعد الزمني فيما بينه وبينهم ، وأمل عرضاً لما يتضمنه تعريف ابن خلدون من جوانب مختلفة حول ماهية اللغة ، يوضح ذلك

يتضمن تعريف ابن خلدون للغة ، مجموعة الجوانب والمسائل الآتية (٤) :

١ - اللغة : هي عبارة المتكلم عن مقصوده .

ومعنى ذلك أن اللغة عند ابن خلدون ، تعد وسيلة يمتلكها المتكلم ، ويعبر بواسطتها عن أفكاره ومتطلباته فهي الوسيلة التي تميز الإنسان عن غيره من سائر الكائنات الأخرى .

٢ - اللسان في كل أمة بحسب اصطلاحاتها.

ولعلنا نذكره هنا أن ابن خلدون يحدد اللغة الإنسانية في صورتها الكلية : باعتبارها ملكة تخص الإنسان وحده ، وأن هذه الملكة تظهر عند كل أمة في شكل لغة خاصة بهذه الأمة .

وليس من شك في أن الطابع الاصطلاحي للغة - الذي يقول به ابن خلدون : ومعظم العلماء العرب السالف ذكرهم ، يعد من الأمور التي تشير إليها النظريات الحديثة ، فاللغة

(١) مقدمة ابن خلدون ٢ / ١٢٦٤

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢ / ١٢٨٤

(٣) مقدمة ابن خلدون ٢ / ١٢١٨

(٤) مفر الملك السياسية ١١

وسية تعبير قائمة في بيئة معينة ، على عادة جماعية ، أو بتعبير آخر ، على اصطلاح معين . إن الطبيعة في اللغة هي بالذات التي تنتج لتكلمها التواصل عبر قناة توصلة ثابتة بثبات الاصطلاح على الدلالات ، التي تعبر عنها الألفاظ في اللغة الواحدة <sup>(١)</sup> ، والدلالة هي بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة ، فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقواعد لصحة في ذلك . <sup>(٢)</sup>

ولعله من الجدير بالذكر هنا أن اللغة من هذه الراوية ليست نتيجة قرار سياسي أو ثقافي ، التزمت به مجموعة أفراد في بيئة معينة ، بل هي كيان طبيعي وليست بالتالي من وضع إناس معينين معروفين أم غير معروفين ، بل هي تستمد من عصور سابقة <sup>(٣)</sup> وهذا ما يصرح به ابن خلدون بقوله : <sup>(٤)</sup> واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة ، إنما هو النقل من العرب ، أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني ، لا نقل أنهم وضعوها لأنه متعذر وبعيد ، ولم يعرف لأحد منهم <sup>(٥)</sup>

### ٢- دور تلك العبارة فعل لسانی ناشئ عن القصد بإفادة الكلام .

حيث يقرر ابن خلدون كون اللغة فعلاً إمشائياً يقوم الإنسان بتأديته عبر اللسان ، وهذا الفعل نابع عن إرادة فكرية ، وهي القصد بإفادة الكلام ، فاللغة الإنسانية ، نشاط إنساني مصدره الفكر الإنساني ، وهي تصميم ذاتي ، فالإنسان يستعمل اللغة للتعبير عن مواقفه من الظروف المحيطة به ، فهي بالتالي ، عمل عقلي : وفعل صُنِعَ ، يقوم به كل فرد بقدر ما

(١) الملكة اللسانية ١٢ غير أن بعض العلماء يرفضون القول باصطلاحية اللغة ، وأن ما يقرره هؤلاء يتعارض مع التراميس العامة ، التي تشير عليها النظم الاجتماعية ، فبعدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ، ولا تخلق خلقاً ، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها ، هذا إلى أن التواصل على التسمية بموقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتقاهم بها المتهاضمون ، انظر علم اللغة ٩٨ - ٩٩

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣ / ١٣٣٦

(٣) الملكة اللسانية ١٣

(٤) مقدمة ابن خلدون ٣ / ١٣٧٢

يقصد استعمالها <sup>(١)</sup>

٤ - فلا بد أن تصير ملكة متحركة في العضو الفاعل لها وهو اللسان

فاس خلدون يقرر أن اللغة قائمة عند الإنسان ، لأنه امتلك هذه الملكة اللسانية ، حيث إن  
مقدرة لإنسان على التكلم وراعا ملكة لسانية ، اكتسبها الإنسان ، وهي التي توجه عمله  
التكلم .

بعد ما انتهينا من استعراض مفهوم اللغة باعتبارها ملكة لسانية ، عند ابن خلدون ،  
وما يتضمنه هذا التعريف من وجوه وجوانب أربعة ، يجدر بنا أن نقدم للتعريفات المختلفة  
لمفهوم اللغة عند العلماء المحدثين القريبين ، لنعرف إلى أي مدى كان ابن خلدون والعلماء  
العرب ، موفقين في الإحاطة بمفهوم اللغة وبجوانبها المختلفة التي تشتمل عليها .

تعريفات اللغة عند العلماء القريبين المحدثين :

١ - أندريه مارتينييه : A. Martine

يقول مارتينييه : " إن اللغة ، أداة تواصل ، تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة  
في كل مجتمع إنساني عبر وحدات ؛ تشتمل على محتوى دلالي ، وعلى عبارة صوتية " <sup>(٢)</sup>

يتضمن تعريف مارتينييه السابق على الجوانب الآتية :

١ - تعد اللغة وسيلة أساسية للتواصل بين متكلميها .

٢ - تقوم اللغة على أساس الوحدات الصوتية ، التي تشتمل بدورها على دلالات معينة

٣ - تختلف اللغات في المجتمعات الإنسانية من مجتمع إلى آخر .

ويبدو واضحاً أن مارتينييه ، يركز على وظيفة هامة في اللغة ، ألا وهي وظيفة التواصل  
بين متكلميها - حيث يقول - إن الإشارة إلى اللغة كوسيلة أو كدالة للتواصل ، تلفت الانتباه  
إلى ما يميز اللغة عن مؤسسات أخرى - إن وظيفة هذه الأداة ( اللغة ) الأساسية ، هي وظيفة

(١) انظر الملكة اللسانية ١٢

(2) A. Martine: Elements de linguistique generale. paris: Armand collin p20 1960

## التواصل (١)

ب أنطوان ماويه A. Meillet

يقول ماويه : " إن اللغة تنظيم متماسك مرتبط بوسائل التعبير المشتركة بين مجموعة متكلمين ولا وجود لهذا التنظيم خارج الأفراد " الذين يتكلمون اللغة ( أو يكتبونها ) مع ذلك ليس هذا التنظيم المستقل عن كل منهم ، ذلك لأنه يفرض نفسه عليهم ، وقعه هو وقع مؤسسة اجتماعية متصلة في الأفراد ، ولكن في الوقت نفسه مستقلة عن كل منهم ، وهذا ما يتوافق بالذات مع التعريف الذي وضعه دور كايم فيما يتعلق بالأمر الاجتماعي " (٢)

ج - إيفارد سابير : " E. Saper "

ويعرفها بقوله : " إن اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان ، يستعملها لاتصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يفرضها بصورة اختيارية وقصدية " (٣)

د - بلوخ وترايجر : " Bloch and Triger "

ويعرفها بقولها : " إن اللغة تنظيم رموز صوتية كيفية يتعاون بواسطتها أفراد مجتمع معين " (٤)

(1) A. Meillet : Elements de linguistique générale, p20

(2) A. Meillet , linguistique historique khnestreck , vol III , p.p 72- 73, 1952

(3) E. Saper : language, New york , p.8, 1921

وضع هذا التعريف بي أنديا الحقائق التالية من اللغة .

أ - اللغة مظهر إنساني مكتسب وليس غريزيا

ب - اللغة وسيلة الاتصال الإنساني

ج - اللغة نظام

د - اللغة رموز

هـ - اللغة اصطلاح

و - اللغة أصوات إنسانية

ابنصر اللسان والإنسان حيث التطبيقات التي قدمها د . حسن طاطا حول هذا التعريف ٢٨ وما بعدها

4 Bloch and Triger : out line of linguistics Analysis Baltimore linguistics society of America.



ويسمى أن يذكر التعريف السابق متضمن مسألتين هامتين ، في إطار الاتجاه البنوي لدراسة اللغة <sup>(١)</sup>

١ - اللغة تنظيم أي أن اللغة تتكون من كل منظم من العناصر ، التي تعمل كمجموعة ، ولا يكون لعناصر التنظيم ، إذا أخذت على حدة أية دلالة يحد ذاتها ، بل تقوم دلالاتها فقط عندما ترتبط ببعضها وبالتنظيم ككل

٢ - الرموز طبيعتها كيفية أي إنها غير معطلة . فالرمز يركز على اصطلاح جماعي كلى يشير إلى ما يرمز إليه ، فهو لا يخضع بالتالي لأي قياس عقلي ، بل إن الرابط الذي يجمع بين أفراد الرمز وما يرمز إليه هو رابط كلفي

هـ - دي سوسير " De. sousser "

يرى دي سوسير أن اللغة عبارة عن تنظيم محدد جيداً في كتلة من العناصر المتغايرة لحقائق الكلام ، وأنه يمكن وصفها في جزء محدد من الدائرة الكلامية عندما تجتمع الصورة السمعية مع الفكرة . فاللغة عنده عبارة عن نظام من العلاقات التي توحد المعاني والصور الصوتية فيها الشئ الأساسي والوحيد . ويكون فيها قسماً العلامة نفسيين <sup>(٢)</sup>

لقد هذا على نهج دي سوسير عديد من العلماء في تعريف اللغة ، فنذكر منهم :

١ - هال " R.A. Halle "

يرى هال أن اللغة " هي المؤسسة التي يتواصل بواسطتها البشر ويتقاطعون فيما بينهم بواسطة رموز شفوية سمعية ، ذات كيفية مستعملة بالعادة . <sup>(٣)</sup>

فاللغة من وجهة نظر هال " Hall " تعد وسيلة تواصل قائمة على رموز كيفية ، وهذه الرموز تنتقل من المتكلم إلى السامع ، فهي شفوية عند المتكلم ، وسمعية عند السامع . إلا

(١) اللغة اللسانية ١٦

(٢) محاضرات في علم اللغة العام ٢٨ - ٢٩

٣) R A Halle. An Essay of language. philadelphia and New york chilton books. p 158, 1968

أنتنا نلاحظ أن " هال " يضيف إلى تعريفه مسألة أن اللغة عادة ، والنظر إلى اللغة من حيث  
بها عادة إنسانية نظرة بينها علماء اللغة النثويون وخصوصا الأمريكيون ، بتأثير من  
النظرة السلوكية في علم النفس (١)

ومن هؤلاء العلماء : اللغوي الأمريكي الشهير بلومفيلد " L. Bloomfield " الذي يقول  
بأن " الكلام ( الأصوات ) الخاص " الذي يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مشر معين ،  
يختلف باختلاف المجموعات البشرية ، فالشر يتكلمون لغات متعددة . كل طفل يتزعرع في  
مجموعة معينة يكتسب هذه العادات الكلامية والاستجابات في منى حياته الأولى (٢)

أما نعوم تشومسكي " N.Chomsky " فإنه يرفض تلك النظرة الآلية إلى اللغة ، من  
حيث كونها عادة كلامية قائمة من خلال المثيرات والاستجابات ، ويؤكد تشومسكي في هذا  
الصدد أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي يتزعرع فيها بالاستناد إلى قدرته الفطرية على  
اكتساب اللغة . تلك القدرة التي يطلق عليها مصطلح " الكفاءة اللغوية " أو " القدرة  
الإبداعية " حيث يقول : " يشير مصطلح الكفاءة اللغوية إلى قدرة المتكلم - المستمع التالي -  
على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته " (٣)

ويقول - أيضا - : " إن كل من يملك لغة معينة ، قد اكتسب في ذاته وبصورة ما تنظيم  
قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص - فهذا الإنسان قد طور في  
ذاته ما نسميه بالكفاءة اللغوية (٤)

ويحدد تشومسكي مفهوم اللغة في ضوء ما أسلف من توضيح ونبيان بقوله : " من الآن  
فمساعداً تعتبر اللغة كناية عن مجموعة (متناهية أو غير متناهية ) من الجمل ، كل جملة

(١) انظر : الملكة اللسانية ١٧

(2) L. Bloomfield . Language , london, Allen unwin, p29 1935

(3) N, chomsky . The formal Nature of language appendix , p,126,1967 to E.H  
lonneberg biological foundations of language trad francus , de , N.Chomsky, 1966

(4) N, Chomsky : The formal Nature of language Appendix p, 125, 1967

يؤكد تشومسكي أن اللغة ملكة فطرية ، وهي وحدة من وحدات العقل / الدماغ ، تنتج معرفة باللغة على أساس من  
اتميرية اللغة . إذ إنه ليس يقتضية خلاقة ، أن البشر يحصلون معرفة بالإنجليزية أو اليابانية أو غيرها من اللغات ،  
على حين أن الصنوبر أو النمر ، لا تعمل الشيء نفسه تحت الظروف نفسها . المعرفة اللغوية .. غير أنه يذكر أيضاً  
أن اكتساب اللغة مسألة إضافية إلى معززين القواعد عند المرء ، أو تعديل هذا النظام ، حتى تعالج سادة جديدة  
المعرفة اللغوية ٨٤

منها طولها محدود ، ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر ، وكل اللغات الطبيعية هي شكلها المكتوب والمنطوق متوافق مع هذا التعريف . وذلك لأن كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات ، وكل جملة بالإمكان تصورها كتابع من الفونيمات ، علماً بأن عدد لجمل غير متناهٍ <sup>(١)</sup>

ومن الواضح أن تشومسكي يركز في تعريفه للغة على خصائصها الشكلية تلك الخصائص التي يمكن دراستها دراسة علمية ، فهو لا يحلل اللغة من زاوية كونها وسيلة اتصال أو تعبير ، بل يحللها من زاوية كونها " مجموعة جمل تحتوي على شكل صوتي ، وعلى تفسير دلالي يقتزن بهذا الشكل وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يوضح هذا التوافق بين الصوت والدلالة " <sup>(٢)</sup>

تقدم نظرية تشومسكي إذن على فكرة الكفاءة اللغوية لدى متكلم اللغة ، حيث إن متكلم اللغة ، حيث إن متكلم اللغة الذي يترعرع في بيئة معينة يكتسب كفاءته اللغوية في هذه البيئة ، بمعنى أنه يكتسب معرفة ضمنية بقواعد اللغة ، تمكنه تلك المعرفة من إنتاج جمل لغته وتفهمها ، ومن ثم فإن قواعد الكفاءة اللغوية هي موضوع الدراسة اللغوية .

(1) N.Chomsky - syntactic structures , p.15, 1957 The Hague mouton trad francais Ed seuil 1969

(2) N. Chomsky - Language and mind , new york , p.25, 1968 Francaise Ed Seuil Paris, 1970.

ويشتمل تعريف تشومسكي للغة مجموعة العناصر الآتية

أ - الإنسان مزود بقدرة لغوية فطرية عامة تمكنه من استخدام اللغة

ب - جمل اللغة وليس مفرداتها ، هي محور نشاط الاتصال الإنساني دائماً وهماً

ج - اللغة وسيلة لفهم طبيعة العقل البشري .

ويمكننا في ضوء هذه العناصر أن نتعرف مجموعة أسس ، تتصل بمفاهيم اللغة ونظمتها هي -

١ - اللغة أصوات إنسانية إرادية

٢ - وظيفة اللغة الاجتماعية هي الاتصال والتعبير

٣ - اللغة نظام رمزي

٤ - اللغة نظام صوتي وصرفي ونحوي ودلالي

٥ - اللغة قدرة فطرية عامة في بني البشر

سفر - المعجم العربي والدرس الحديث ١١٦ وما بعدها

وبعد . فقد عرضنا فيما سلف لتعريف اللغة عند كل من العلماء العرب من جهة  
وعند العلماء الغربيين على شتى مناهجهم واتجاهاتهم من جهة أخرى  
ولا يفورنا أن نذكر أن العلماء العرب ، قد جمعوا في تعريفاتهم ، عدداً من المسائل ،  
بماثل مظاهرها . عند العلماء الغربيين المحدثين . وتكاد تقاربهم من حيث الكمية وهذه  
المسائل هي (١) :

- ١ - اللغة عبارة عن أصوات . ٢ - اللغة تتألف من كلمات
- ٣ - اللغة وسيلة التعبير عن أغراض القوم
- ٤ - اللغة تتنوع وتختلف باختلاف أصحابها
- ٥ - اللغة مواضعة واصطلاح .
- ٦ - اللغة وضمت للدلالة على المعاني .
- ٧ - أصوات اللغة محدودة متناهية وكذا مفرداتها .
- ٨ - الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة .
- ٩ - كلمات اللغة تتكون من وحدات منفصلة .
- ١٠ - اللغة قائمة على مستويين وهما مستوى الأصوات ومستوى الكلمات
- ١١ - اللغة فعل لسانی .
- ١٢ - اللغة ملكة لسانیة .
- ١٣ - اللغة عملية مقصودة لذاتها
- ١٤ - اللغة ميزة إنسانية مكتسبة .

يظهر هذا الحصر . للمسائل التي ذكرها العلماء العرب ، في تعريفاتهم للغة ، أنهم  
يماثلون إلى حد كبير . ما ذكره علماء اللغة الغربيون من مسائل مختلفة للغة ، وأن هؤلاء  
العلماء الغربيين لم يزيدوا في تعريفاتهم للغة إلا خمس مسائل فحسب عن العلماء العرب .

(١) انظر : الملكة اللسانية ٢٢ كذا بحوث فلسفية عربية ٦٥

في حين ذكر العلماء العرب ثلاث مسائل لم يذكرها العلماء الغربيين ! وهذه المسائل هي <sup>١</sup>

١ - اللغة تتكون من كلمات . ٢ - الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة

٣ - اللغة فعل لسانی

أما المسائل الخمسة التي لم يذكرها العلماء العرب ، وذكرها العلماء الغربيون فهي <sup>(٢)</sup>

١ - الوحدات الصوتية متغيرة فيما بينها ٢ - جمل اللغة غير محدودة

٣ - اللغة تنظم من الإشارات أو الرموز . ٤ - اللغة تنظم من القواعد

٥ - اللغة عادة كلامية وكيفها المثير .

تؤكد هذه المقارنه في تعريف اللغة فيما بين العلماء العرب القدامى ، والعلماء المعربين الغربيين المحدثين . مدى إحاطة العلماء العرب القدامى بمفهوم اللغة وإدراكهم للعديد من المسائل الهامة التي تختص بها اللغة - أية لغة - وأن الفروق بسيرة للغاية فيما بينهم وبين لعلماء الغربيين ، على الرغم من البعد الزمني الكبير ، وقلة وسائل البحث واعتماد العلماء العرب على إمكانيات ذاتية خاصة تتمثل في عمق إدراكهم وثاقب نظرهم ، تلك الإمكانيات والقدرات ، ينبغي أن تهتم فيها الحافظ والهمة من أجل إبراز هذه الجهود العظيمة ، لتحظى بالمكانة اللائقة التي تستحقها .

---

(١) انظر معجم العربية ٧٦ وكذا اللغة السامية ٢٠

(٢) انظر معجم العربية ٧٢ وكذا اللغة السامية ٢٠ . وقد أدرك العلماء العرب أن اللغة تنظم من القواعد . بالرغم من أن أحداً منهم لم يذكر ذلك في تعريفه لله

## المبحث الثاني : الجهود النحوية عند العلماء العرب

### تمهيد

ليس من شك في أن العلماء العرب ، قد بذلوا جهوداً مشكورة ومحمودة في دراسة النحو العربي ، لا ينكرها إلا جاحد ، ينحاز إلى غير الحق والحقيقة !

لقد شمر هؤلاء العلماء عن سواعد الجد ، واستنهضوا عزائمهم الصادقة وشجرتهم لإنشاء علم يحفظ العربية ، لغة القرآن الكريم ، من اللحن والاندثار

فلقد كان الدافع - عندهم - هو الحفاظ على لغة القرآن الكريم دستور الإسلام ومنهاج المسلمين ، فما توانت عزائمهم ولا استكانت همهم . بل طفقوا يدققون فيما بينهم ويتنافسون بهدف الوصول إلى الصواب في قواعدهم .

إننا لا نستطيع أن نقول بأن العلماء العرب ، قد أصابوا في جميع ما ذكره في دراسة أبواب النحو المختلفة ، أو أنهم قد استخدموا منهجاً علمياً التزموا به ، أو اتبعوا مسلكاً موحداً من الدرس والتحليل . فلم يكن هذا الهدف المثالي مواتياً لهم أو متوافراً بين أيديهم في هذا الزمان المتقدم ، ولم تكن منهجية البحث من الأمور التي يمكن تحقيقها وتنفيذها ، سواء بالنسبة لعلماء العرب ، أو بالنسبة لغيرهم من العلماء الغربيين !

إن كتاب سيبويه ، الذي يعد أول كتاب في النحو العربي ، يصل إلينا ، بعد - حقاً - كتاباً كاملاً متكاملأ في عرض جميع أبواب النحو والصرف والأصوات العربية كما يعد نموذجاً حقيقياً لنهج التأليف العربي في هذا المجال ، هذا حفوه عديد من العلماء لفترة ليست بالقصيرة

إن الربط بين أبواب النحو والصرف والأصوات ، لم يكن وارداً في ذهن سيبويه ، وهو يضع كتابه «الكتاب» ، فلسنا نلمح ما يؤكد أن سيبويه راعى أن يجعل الجملة النحوية ، هي قمة الدراسات اللغوية ، وأن هدف اللغوي أو النحوي ، ينبغي أن يركز على تحليل لحمة النحوية عندما جعل أبواب النحو ومسائله في أول الكتاب ، أو أنه أدرك حقاً

من مستويات الصرف والأصوات والدلالة ، إنما تنقش في المقام الثاني باعتبارها مستويات تفسيرية ، عندما أخرها بعد أبواب النحو ، كما هو الحال في النظرية التوليدية التحويلية .  
لني بعد أحدث النظريات اللغوية في البحث اللغوي الحديث . كما أن سيبيويه لم يشأ أن يبدأ كتابه بمسائل الأصوات ، ثم يتبعها بمسائل الصرف ، منتهياً ببواب النحو ومسائله ، موحداً لأصوات في خدمة الصرف ، ثم يوظف الأبنية في البناء النحوي ، كما هو الحال عند علماء المنهج البنيوي ، لم يكن سيبيويه يعي هذا الترتيب أو يعي مخالفته له رافضاً لمذهبه ، راضياً بالمنهج التوليدي التحويلي !

والحق أن سيبيويه ، وهو يثقف " الكتاب " لم يضع في حسبانته شيئاً من هذا ولا ذاك ، وبالرغم من ذلك ، فإننا لا نعدم في ثنايا الكتاب أبواباً تتفق في تناولها مع أسس البنيوية وقواعدها كما لا نعدم أبواباً أخرى ، تتفق في تناولها مع أسس التوليدية التحويلية وقواعدها ، ناهيك عن الأبواب الأخرى العديدة : التي جاءت متقلة مع المنهج التقليدي وقواعده

ونقدم ، فيما يلي ربطاً بين الدراسات النحوية عند العرب ، ونظريات البحث اللغوي الحديث .

### أولاً : الاتجاه التقليدي :

ينبغي أن نؤكد أن طماء هذا الاتجاه ، من اللغويين والنحاة ، يتمسكون بمفاهيم لا يعيدون عنها ، فهم يتمسكون بقواعد اللغة وبالعروض على نقاتها وفصاحتها ، مع ضرورة أن تتضمن اللغة مفهوماً جمالياً ، يقوم على اعتماد الصيغ اللغوية : التي توصف بالصيغ الحسنة ، استناداً إلى معيار جمالي بحت ، فوظيفة هذه القواعد التقليدية - في المقام الأول - هو المحافظة على أصالة اللغة وترسيخ مفهومها الجمالي<sup>(١)</sup>

ومن ثم . فإن هذا النهج يعتمد على الأمثلة والشواهد القيمة ، مع السلك بضرورة القياس على معيار صحتها ، باعتبار أن الأقدم - دائماً - هو الأقصح والأصوب . ولذلك

(١) مظر مباحث في النظرية اللغوية



كان احتفالهم واعتماهم بالاصول اللغوية المكتوبة ،

وإذا كانت التقليدية ، قد سادت التفكير اللغوي بعامة ، والنحوي بخاصة مدة طويلة من الزمان ، سواء عند العلماء الغربيين أم عند العلماء العرب على السواء ، إذ إن لا يعثر على تطور أو تغير ذي بال على هذه القواعد ، طوال فترة طويلة ، وإلا ما عدت إلى التقسيمات النحوية اليونانية ابتداءً من " دينيس دي تراس " أو " أبولون ديسكول " حيث لا نجد تعبيراً قد طرأ عليه طوال القرون الوسطى ولا تصادفنا طوال تلك الفترة بحوث تاريخية مقارنة خارج إطار هذا المنهج ، إلا في سنة ١٩١٠ م حيث كتاب بروجمن وديرك " الأساس " وهو أشهر كتاب نحو مقارن في اللغات الهندوأوروبية وإذا كانت الدراسات النحوية التقليدية ، عند العلماء الغربيين ، لم تكن ذات مسار أو اتجاه واحد ، وإنما جاءت في صورة مزيج من الآراء وخليط من الأفكار ، ووجهات النظر المتباينة ، التي ظهرت عبر عصور مختلفة واستخدمتها مدارس لغوية متعددة ، اعتمدت فيها على آراء وأقوال عند تركيب الجملة عند أفلاطون وأرسطو ، كما اعتمدت - كذلك - على نظريات عن أجزاء الكلام ، تعود إلى الرواقيين واعتمدت - أيضاً - على أفكار عن المعنى وطبيعتها في بعض فترات القرون الوسطى ، واعتمدت - كذلك - على فرضيات عن علاقة اللغة بالفعل منحدرة من قواعد وضعت في القرن الثامن عشر في إنجلترا ، كما أنها اعتمدت على دراسات عن تاريخ اللغة ، تعود إلى القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>

فسمة الخلط والاضطراب هذه ، التي تميز هذا النهج التقليدي في الدراسات اللغوية والنحوية في أوروبا ، نجد مثيلاً لها في الدراسات النحوية التقليدية ، عند علماء العرب ، حيث جاءت أعمال هؤلاء خليطاً من أمشاج وأنواع شتى من الاتجاهات والأفكار والمبادئ التي يصعب أن نعثر على الخيوط بينها أو أن ندرك مدى ارتباطها بعضها ببعض ، إن هذه الاتجاهات ، وما يصاحبها من أفكار ومبادئ ليس من النادر أن تجد التناقض بينها وأحياناً ، أو أن تحس بالاضطراب الناتج عن محاولة تطبيق هذا الخليط المتناسق من

(١) انظر أصواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٠٣ وكذا

D Crystal Linguistics p. 40

ساليب البحث <sup>(١)</sup> ويمكننا أن نوجز الأساليب والاتجاهات التي اتبعتها النحاة العرب على لوجه الآتي <sup>(٢)</sup>

## ١- الاتجاهات الفلسفية والمنطقية :

ويظهر أثر هذه الاتجاهات في كثير من مشكلات النحو العربي من أهمها : مشكلة العامل ، وما تفرع عنها من قضايا فرعية لا حصر لها ، فالعامل لا بد أن يعمل ، ولا بد أن يكون له أثر ظاهر أو مقدر وكل معمول لا بد له من عامل ، وعن هاتين القضيتين ، تفرعت مسائل ضخمة ، عرفت بالتعقيد والتعسف من ذلك مثلاً ، مسائل الحذف والاستتار والتنازع ، والاستثقال <sup>(٣)</sup> .

(١) دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني ٥٤

(٢) انظر ، دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني ٥٤ - ٥٧

(٣) لقد أصبحت نظرية العامل ، من أحدث النظريات اللغوية : التي تركز على أساسها الدراسات النحوية ، عند علماء المدرسة التوليدية التحويلية

ويعتبر أن النحو العربي : قائم على فكرة العامل ، وأن اللغويين أحمد ، له دور كبير في تثبيت أصول هذه النظرية ، وأنه هو الذي مد فروغها ، وأحكمها إحكاماً ، بحيث أدخلت صورتها على مر العصور ، فلقد كان يرى أنه لا بد لكل راع أو نصب أو مخلص أو جزم في كلمة من عامل يعمل في الأسما من الأعمال المعربة ، وكذلك المهيئة والعامل إما أن يكون المظنية ، مثل المبتدأ : الذي يعمل الرفع في الخبر ، والفعل الذي يعمل الرفع في الفاعل والنصب في المفعولات ، وإما أن يكون العامل مفعولاً ، مثل الابتداء الذي يعمل الرفع في المبتدأ . والعوامل منها الأفعال ومنها العروف ، ومنها ما هو جازم ومنها ما هو ناصب ، ومنها ما ينصب بعده ويرفعه كالفاعل مثل إن وأخواتها ، حيث يقول سيبويه : " زعم اللغويين أن هذه العروف عملت عملية الرفع والنصب ، كما عملت الرفع والنصب ، حيث قلت : كائن لخاله زيد ، إلا أنه ليس له أن تقول : كائن أخوه عبد الله ، فزيد ، كائن عبد الله أخوه ، لأنك لا تتصرف تصرف الأفعال ، ولا يسمو فيها المرفوع كما يسمون في كائن ومن ثم فرقوا بينهما ، كما فرقوا بين ليس وما ، فلم يجرها مجراها ، ولكن قيل في بمنزلة الأفعال فيما بعدها ، وليست بمفعول . الكتاب ٢٨٠/١

والعوامل عند عمل ، سواء أكانت ظاهرة أم مسوطة ، وكما أن العوامل تختلف ، فإن المصولات في الأخرى تختلف والمتصفح لكتاب سيبويه ، يرى كيف أن سيبويه ، قد حوّل على هذه النظرية في أبواب الكتاب كلها لوريكاه وتحلل جميع كتب النحو العربي بهذه النظرية ، والاعتماد على أسسها وأواعدها ، ولم نجد أحداً منهم يختلف عن سابقيه سوى ابن مضاء ، الذي أنكروا - فقط - إقراء النحاة في تعدد العوامل وخروج النحاة من مجرد القول بالعامل الأول ، إلى الإمعان في البحث عن عامل العامل ، وعامل عامل العامل " وهكذا في كتابه الرد على النحاة ، فقد أرسدهم عبد القاهر إلى مائة عامل في كتابه العوامل المائة وسوف يتأكد لنا مدى احتقال النظرية التوليدية التحويلية بهذه الفكرة فكرة العامل ، وأن نظرية العامل والربط السيلاني government binding theory =

## ٢ - التأويل والافتراض :

والالتجاء إلى التأويل دليل التناقض في الأحكام ، فنتيجة لتصارف المدعى و عدم دقتها ، ومعلوم أن التأويل ماهر إلا محاولة ، لجعل القواعد تنمشى مع قواعد دستور علماء بأن قضايا المنطق ، لا يجوز تطبيقها على قواعد النحو . ومن هنا جاءت محاولات لحناء لتفسير علل البناء والإعراب<sup>(١)</sup>

## ٣- المعيارية

اعتمد النحاة العرب على المعيارية وكان اتجاهاً سائداً - عندهم - حيث أسسوا القواعد وفق قوالب معينة من اللمة ، لا يحدون عنها ، تلك القوالب هي ما يجب أن يتكلمها الناس ، ومن هنا جاء اهتمامهم بتخليص اللغة من الشواذ والشوائب ، بقصد المحافظة عليها من الحذف والتحريف

- ينبغي أن نؤكد أن النهج التقليدي - عند النحاة العرب - قد شاككت صحتة في كثير من المعالجات ، التي قاموا بها وأن سلوكهم في هذه المعالجات ، قد جاء متوافقاً مع ما تنادي به أحدث النظريات اللغوية التي ترى بأن القواعد التقليدية ، ليست بهذه الصورة من عدم الطبع أو الاختلاط ، أو أنها " ليس لها ما تعلمنا ، بل العكس ، فقد تهيئت بعض الصفات المميزة في الجملة ، سواء في المستوى الدلالي أو المنطقي أو الصوتي ، ولكن هذه

---

== هي من أحدث ما توصلت إليه النظرية . وبذلك نجد الحديث عن الربط بين نظرية العامل عند النحاة لعرب ونظرية العامل والربط السياقي عند تشومسكي

(١) لقد اعتمد تشومسكي رائد النظرية التوليفية التحولية ، في بناء نظريته على الفلسفة العقلية القديمة ، وقد سار في هذا الأمر بالفيلسوف العقل " ديكارت " وجماعة النحاة اللبانيون وكذلك بمفردة " مورت رويال " التي كانت امتداداً طبيعياً للمهج العقل عند ديكارت . كما تأثر بالفكر هيمبولد " humboldt " ، حيث يقول " ليس من الجديد القول أن اللغة مبنية على أساس نظام من القواعد التي تقرر تكوين جمل اللغة الكثيرة بعير حدود " فلقد عبر هيمبولد عن هذا بشكل واضح قبل ما يريد على القرن في مقدماته لعلم اللغة المشهورة ، ولوائه نادراً ماقرأت هيمبولد ولقد كانت وجهة نظره القائلة ( إن اللمة تستخدم بشكل غير محدود وسائل محدودة ) وأن قواعد اللغة يجب أن تصف العمليات التي يجعل هذا ممكناً ، كانت وجهة النظر هذه نتاجاً لاهتمام ملح ببعض الفلسفة العقلية لمة و نظر بهذا الجانب الخلاق للاستعمال اللغوي متأثر النظرية المعروفة ٢٥

لصفات ، لم تكن هي الصفات الممتازة تركيبياً ، ثم إنها جمعت حول اللغات التي درستها 'كد ساً ضخمة من الأحداث التركيبية ، وصفت وحلّت ثم رُتبت باعتبارها على الرغم من أن ترتيب قد جاء دائماً - متبايناً بالنسبة إلى هيكل اللغة ، فحياً جاء الترتيب وفقاً لمقاييس شكلية ( كوجود اسم الموصول أو أداة التعريف أو الجعل المتفرعة ) وحباً آخر جاء وفقاً لمقاييس دلالية ، في حالة عدم توافقها مع المقاييس الشكلية .<sup>(١)</sup>

## ثانياً : المنهج الوصفى البنوي :

يعد دي سوسير ، هو رائد المنهج الوصفى البنوي ، ويمكننا أن ندرك من خلال المفاهيم التي أرساها ، وثبت أركانها ، أن البنوية تقوم أساساً على تحليل عناصر اللغة ، بالاستعانة بالعناصر الأخرى ، التي تشتمل عليها تلك اللغة ، حيث يقوم الباحث بوصف العناصر لصوتية ، محلاً من خلالها الوصول إلى تكوين الوحدات المورفولوجية ، لتكون - بدورها - العبارات فالجمل ، وينبغي أن نؤكد أن المدارس اللغوية الحديثة : التي ظهرت في أوروبا وأمريكا ، تنتسب جميعها ، بشكل أو بآخر إلى هذا المنهج . فالمنهج البنوي ينظر إلى اللغة على أنها منسمة جماعية ، تفرض نفسها على الأفراد ، وتتأقّل بطريقة جبرية من جيل إلى جيل آخر منذ أن كان الناس تستشف أشكالها من أشكال سابقة تنحدر هي نفسها من أشكال أكثر بدائية وهلم جرا ، دون توقف من أصل وحيد ، أو أصول أولية متعددة من جهة أخرى . تدل كل كلمة على مفهوم يشكل معناها \*<sup>(٢)</sup>

(١) انظر مقاييس الأسس ١٠٧

(٢) البنوية ، جان بياجييه ٦٧ كما يذكر ليونز ' Lyons " أن البنوية جارة عن " الصيغة التي جمعتها بين مدارس مختلفة في علم اللغة في القرن العشرين . وهذا المعنى يمكن القول بأن المدارس اللغوية الحديثة منذ دي سوسير وحتى تشومسكي . تنتمي إلى المنهج البنوي بصورة أو بخرى . لأنها جميعاً تؤمن بأن اللغة عبارة عن نظام يتكون من عدة أنظمة ، فهي من حيث كرمها مجموعة من العلامات أو الرموز ، إلا أن هذه العلامات ، وذلك الرموز . تتكون أولاً من أصوات نطقها أعضاء النطق الإنساني وتمركزها الآن . وهذه الأصوات . تتوكل بطريقة اصطلاحية في وحدات ذات دلالات بسميها . لكلمات والجمل ، وكل ذلك يشكل في النهاية بطريقة مخصصة النظام في اللغة ، وهي النظام الصوتي والنظام المورفولوجي والنظام النحوي والنظام الدلالي ، وجميعها ذات وجود مستقل نسبه النظام اللغوي . ويعبر دي سوسير عن واضح الأصول الأولى للنظرية البنوية بهذا المعنى بما أرساه من مبادئ في التحليل اللغوي ودراسة اللغة وخاصة التفرقة بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية " نظرية تشومسكي اللغوية ٦٤

وإذا كانت البنية وتحليلها ، هي هدف علم اللغة البنيوي ، فقد كانت - أيضاً - هدف النحاة وعلماء اللغة في التراث العربي . فكتاب سيبويه ، يشتمل على عناصر بنوية ، كما أن نحاة العربية الأوائل ، مثل الخليل وسيبويه ، قد عبروا بين مستويين من مستويات لدراسة النحوية

**المستوى الأول** ويتمثل في رصد الأداء وتبعه ، وتمثله القواعد المجردة ، التي يعيب عليها الطابع التعليمي .

**المستوى الثاني** ويتمثل في علاقة المبنى بالمعنى ، وتمثله العلاقات التركيبية المختلفة بين الكلمات داخل الجملة أو بين الجمل وبعضها . فقد أدرك النحاة العرب - بحق - العلاقة بين المبنى والمعنى والمبنى - عندهم - يبدأ من أصغر الوحدات ، متمثلاً في لأصوات والحروف في حين تعمل الجملة أكبر الوحدات بناءً

فلم يكن إذن خافياً عليهم - بحال من الأحوال - مفهوم ثنائية التركيب ، الذي يعد من أهم خصائص البنيوية ، فلم يكن هدفهم الأوحده . هو القول بالصواب والخطأ النحوي فحسب ، بل إنهم ينطلقون في أبحاثهم إلى فكرة التضام والتركيب . وما ينشأ عن هذه لفكرة من علاقات ، لقد تجلت هذه الفكرة ، مع نهاية القرن الرابع الهجري ، عند ابن جني من علماء اللغة ، وعند عبد القاهر الجرجاني من علماء البلاغة (١)

---

(١) يقول عبد القاهر الجرجاني " ومعلوم أن ليس النظم سوى تطبيق الكلم بعضها ببعض ، والكلم تكتب باسم ولعل وحرف . والتطبيق فيما بينهما طرق معلومة ، وهو لا يمر ثلاثة أقسام . تطبيق اسم باسم ، وتطبيق اسم بفعل ، وتطبيق حرف بهما . " دلائل الإعجاز ٤

ويقول أيضاً " فهذه هي الطرق والوجوه في تطلق الكلم بعضها ببعض ، وهي كما شرعنا معاني التنوير وأحكامه . وكذلك السبيل في كل شيء كان له محل في صفة تطلق الكلم بعضها ببعض . لا ترى شيئاً من ذلك ، وهو أن يكون حكماً من أحكام التنوير بمعنى من معانيه . " دلائل الإعجاز ٨

كما يذكر - أيضاً - بأنه يجب أن " تتحد أجزاء الكلام . ويختل بعضها في بعض . ويشترط ارتباط ثلثيها بقول وأن يحتاج في الجملة إلى أن تصعها في النفس وضماً ولحداً . فمن ذلك أن تتوابع بين معنيين في الشرط والجزاء . " دلائل الإعجاز ٩٢

ويقول أيضاً " وينظر في الجمل التي مسود . فيعرف موقع الفصل من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما صفة =

لقد كان بعض النحاة العرب ، مدركين للعلاقة بين مستويات اللغة ، وضرورة اعتماد مسائل النحو على المعطيات الصرفية والصوتية ، يأتى فى مقدمة هؤلاء النحاة <sup>١</sup> الزجاجى و السكاكى <sup>٢</sup> ففى حين حاول الزجاجى تطبيق تلك الفكرة ، من ضرورة اعتماد النحو ومسائله على أبواب الصرف والأصوات ، إلا أنه أخفق فى ذلك ، ولم يوفق كل التوفيق <sup>٣</sup> فى سكاكى ، قد اكتفى بإبراز تلك العلاقة ، دون تطبيق عملى لها ، مكتفياً ببيان ضرورة اعتماد أبواب النحو على مسائل الصرف والأصوات .

إن الفكر البنوي الذى يرى اللغة بنية منظمة متكاملة ، فيعنى بتصريف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإسنائية والإضافية، من حيث الفصل والوصل مع إبراز لطابع العضوى لأنماط اللغة ، وما يترتب على ذلك من فكرة المعاقبة فى الموقع ثم الربط بين الصورة والوظيفية التى تؤهبها الصورة فى النظام <sup>(١)</sup> كل هذه الأمور والمسائل المختلفة ، حفلت بها كتب النحو العربى وتكلفه ، ولم تكن خافية على أذهان النحاة العرب بن إنهم أدركوها وعالجوها باقتدار يحسب لهم .

كما إن فكرة الضمائم ، تلك الفكرة التى تعتمد على تحديد المكونات الكبرى للجملة ، من خلال الاعتماد على علاقات خاصة بين كلمة وأخرى فى داخل الجملة ، هى أقوى من علاقة هذه الكلمات ببقية عناصر الجملة ، لم تكن ، هذه الفكرة بغريبة أو بعيدة عن متناول فكرهم وطرحهم للمسائل النحوية ، لقد عرضها النحاة العرب ، وبنوا عليها بعض تحليلاتهم للجملة ، لكن هذه التحليلات ، جاءت فى إطار تحديد نوع العلاقة بين كلمات الضميمة ، وسموها علاقة إضافة تارة أو علاقة وصل تارة أخرى أو علاقة تبعية تارة ثالثة أو علاقة

---

<sup>١</sup> - الوصل موضع "أولاه من موضع" الفاء "وموضع" الفاء "من موضع" ثم "وموضع" أو "من موضع" أم "وموضع" لكن "من موضع" بل "دلائل الإعجاز" .  
<sup>٢</sup> - حاكم النحويين يؤكد "أنا أمام عالم يدرك حقيقة العلاقات النحوية بين أبوابه المتعددة ، كالإستناد بين السند والسند به وتعدية بين الفعل والفعلية والضميمة بين الفعل والفعل لأجله . انظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٩٦ ١٩٦٧  
<sup>(١)</sup> - انظر معجم النحو بين النظرية والتطبيق د. تمام حسنين ، مجلة الناهل - المغرب - العدد ٧ سنة ١٩٦٧ من ١١٢ وما بعدها .

إن نظام التحليل إلى المكونات ، تلك الفكرة ، التي تأسست لدى علماء اللغة لسويين في أمريكا وبخاصة عند بلومفيلد ، في كتابه الشهير "اللغة" language لم يكن هذا الشكل من التحليل - أيها - بعيداً عن أذهان النحاة العرب ، فلقد استشعره النحويون العرب في الإعراب وصدروا عنه ، حتى إنها تعد من قبيل تحصيل الحاصل لدى المشتغلين بالعربية ومعلميها ، (٢)

لم تكن التوزيعية ، التي تأسست في احضان المدرسة البنوية الأمريكية ، والتي نلمح بداياتها عند زيلج هاريس "z. Harris" في كتابه "مناهج في علم اللغة البنوي" "Methodism in structural linguistics" وكان لكل من - هوكيت Hockett وجليسون Gleason دور كبير في تبويبها ونشرها ، كما كان لغوي الإنجليزى "فريز" Fries فضل كبير في إبرازها عملياً حيث قام بتطبيقها تطبيقاً شاملاً على اللغة الإنجليزية في كتابه : التركيب في الإنجليزية "Structure of English" وبعد هذا التطبيق نموذجاً للتركيبات التوزيعية. (٣)

تركز هذه النظرية على تعريف أقسام الكلام : تعريفاً مكانياً بحيث لا تعرف بوظيفتها التركيبية التامة ، وإنما بتوزيعها وحده ( أى جميع الكلمات التي يمكن أن تشغل نفس المجموعة من المواضع ) فكل عنصر لغوي له سياقات محددة ، يأتي فيها ، وسباقات أخرى لا يقع فيها .

لم تكن هذه النظرية - في عمومها - بغريبة أو بعيدة عن متناول النحاة العرب ، وليست فكرة التضام التي تظهر واضحة في أعمال النحاة العرب . إلا تطبيقاً لمفهوم لتوزيعية ، ولقد عرف النحاة العرب أنواع التضام المختلفة ، وحددوا الكلمات التي ينبغي أن تقع في توزيع معين ، ولا تقع في توزيع آخر ، لأنها لا تصلح لذلك . فالأساس في توزيع

(١) معجم المعجم بين النظرية والتطبيق ١١٦ وما بعدها

(٢) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث - بيروت ١٩٨٠ ص ٢٩

(٣) انظر الأكسية ( علم اللغة العام ) المجلد ١ - ٤



لوحداث اللغوية مرشط بما يحيط بها أو بما يجاورها من وحدات أخرى ، هذا الأساس هو ما قام به العلماء العرب في أبواب الإضافة والتوابع والجواب وغيرها من الأبواب .

### ثالثاً : المنهج التوليدي التحليلي :

يرى تشومسكي أن اللغة " كناية عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل . كل جملة منها طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر ، وكل اللغات الطبيعية ، في شكلها المكتوب والمنطوق ، تتوافق مع هذا التعريف ، وذلك لأن كل لغة طبيعية ، تحتوي على عدد متناه من الفونيمات ، وكل جملة بالإمكان تصورها كتتابع فونيمات ، علماً بأن عدد الجمل غير متناه " (١)

ومن ثم فإن هذه النظرية لم تُعر الوصف أهمية تعادل الهدف الرئيسي ، المتمثل في إعطاء تفسير لهذه الظاهرة العقلية الإنسانية ، التي تسمى اللغة ، ومن هنا كان الشغل الشاغل لهذه النظرية ، هو تحديد صيغة القواعد اللغوية ، التي تمثل ذلك النظام الذهني ، فالقواعد هي موضوع الدارسين والعلماء في هذه النظرية ، لأنها النظام الذي عن طريقه يولد المتكلم - متكلم اللغة المعنية - كل الجمل في لغته .

وينبغي أن نؤكد أن تشومسكي يرى أن النظرية اللغوية ، يجب أن تحل مشكلة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يفهمها ، فيقوم حمل عالم اللغة على صياغة القواعد ؛ التي بمقتورها إنتاج مادة البحث أي القواعد القائمة ضمن مقبرة متكلم اللغة ، على إنتاج الجمل وتفهمها " وفي هذا العدد يقول رولت . " إن الواقعة الرئيسية التي يجب أن يحيط بها عالم اللغة هي الآتية . يستطيع كل شخص راشد ينطق بلغة معينة أن يرسل في كل وقت وبصورة تلقائية عدداً لا متناهياً من الجمل أو أن يدركها ويفهمها ، وذلك دون أن يكون قد تلفظ بمعظم هذه الجمل أو سمع بها مطلقاً ، يمتلك كل شخص إذن بعض الاستعدادات المخصوصة جداً والتي يمكن أن ندعوها بكلماته اللغوية. " (٢)

(١) N Chomsky Syntax structures, the hague monton tract p 15 1969

(٢) سمر اكتساب اللغة ١٣ وعدد هذا يقول تشومسكي عن اللغة التي يتم وصفها ودراستها بواسطة قواعد لغوية

معينة - أنها عبارة عن جميع الجمل التي تولد من هذه اللغة ، وهذه الجمل إما أن تكون جملاً معنوية العدد =

والنظرية اللغوية كما حددها تشومسكي ، مخصص ( المتكلم السامع ) المثالي ،  
 لمتنمى إلى جماعة بشرية ذات تعامل كلامي تام المعارف للغة ، تلك الجماعة معرفة تامة ،  
 ولدى لا يكون منفصلاً بحدود لا صلة لها بالقواعد ، كالذاكرة المحدودة أو تحول الانتباه أو  
 عدم المتابعة أو الأخطاء الكلامية العشوائية أو التواترة حين يطبق معرفته اللغوية في  
 مجال الأداء الكلامي<sup>(١)</sup>

ولسنا في مجال يسمح بالحديث عن ماهية المصطلحات : التي اعتمدت عليها  
 لنظرية، والتي تُعد أساساً في بنائها مثل الفرق بين الجمل الأصولية والجمل المقبولة  
 وأن الجمل الأصولية ، تستمد أصوليتها من البنية العميقة ، التي تمثل القدرة الكامنة أو  
 الكفاءة اللغوية وأن الجمل المقبولة تستمد مقبوليتها من البنية السطحية ، التي تمثل الأداء  
 الكلامي المنطوق

إن نظرة مقارنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية ،  
 وبين القواعد النحوية : التي أرساها العلماء العرب ، لتؤكد لنا ، أن النحو العربي ، لم يكن  
 بعيداً عن هذه الأسس والأفكار فإن علماً شامخاً من أعلام تراثنا العربي ألا وهو  
 العلامة عبد القاهر الجرجاني ، نجده وقد سبق تشومسكي إلى تحديد هذه الفروق الدقيقة

---

== أو غير محدودة العدد - وأن عدد الجمل في اللغة الإنجليزية ، وغيرها من اللغات الطبيعية غير محدود ، أو على  
 الأقل من الصعب حصره ، لأن هناك جملاً وإجارات في اللغة الإنجليزية ، قد تطول وتمتد إلى غير نهاية ، ومع ذلك ليس  
 جمل حانية ومقبولة من المتكلمين بهذه اللغة "

ولسنا نعدم نماذج لهذه اللغة في اللغة العربية ، فقد ذكر ابن هشام في كتابه " معاني اللبيب " هذا النوع من الجمل المركبة ،  
 ويسمىها الجمل الكبرى ، فالجملة الكبرى قد تكون اسمية ، وقد تكون فعلية ، والاسمية يكون حد خبرها جملة نحو قولنا  
 " زيد قائم أبوه " والفعلية نحو قولنا " هتنت زويداً يقوم أبوه " كما أن الجملة قد تكون كبرى وصغرى ، فقولنا "   
 زيد أبوه غلامه منطلق " جملة كبرى ، وقولنا " غلامه منطلق " جملة صغرى ، فالجملة الكبرى تتألف من أكثر من جملة ،  
 فتارة تتألف من جملتين اسميتين ، وتارة تتألف من جملتين فعليتين

فالجمل العربية إنَّه تطول وتمتد ، شقها في ذلك ، شأن اللغات الطبيعية الأخرى ولعل الجمل التي لا محل لها من الإعراب ،  
 وجمل الصلة والصفة والحال ، وجمل الاستئناف والجمل الاعتراضية والتفسيرية وغيرها ، خير دليل على ذلك  
 وعلى الرغم من أن الجمل السابقة ، هي المستثناة عن مهمة الاستعداد والنطوول في الجملة الكبرى فإبداً دائماً تكون  
 محدودة بحدود ، لكن عددها غير محدود

(١) مظاهر النظرية النحوية ٢٧

بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة ، حين فرق بين النظم والترتيب والبناء ، ولتعليق فجعل النظم للمعاني في النفس ، وهو تماماً ، البنية العميقة عند تشومسكي أما البناء ، فهو البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات كما أن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق <sup>(١)</sup>

- لم تكن فكرة التفسير العقلي للغة وقواعدها بعيدة عن إدراك عبد القاهر ووعيه ، فقد بما يقول عن اللغة معنى عقلياً ، شأنه في ذلك ، شأن النظرية التوليدية التحويلية عند رائدها " تشومسكي " الذي يؤكد أن الشغل الشاغل ، هو تحديد صيغة القواعد اللغوية ، التي تمثل ذلك النظام الذهني فالقواعد إذن هي موضوع الدارسين والعلماء في هذه النظرية ، " حيث يصرح قائلاً : " ليس الغرض بنظم أن تواتر ألفاظها في النطق ، بل أن تتناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " <sup>(٢)</sup> ويقول أيضاً ، وأما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك لأنه يقتضي في نظمها آثار المعاني ، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء ، كيف جاء واتفق " <sup>(٣)</sup>

- إن القدرة اللغوية ، التي تمثلها الكتابة الذاتية الكامنة ، التي يمتلكها كل متكلم أو مستمع جيد للغة ، والتي من شأنها أن تسمح لصاحبها بتوليد عبارات وجمل لا نهائية ، والتي تعد من أساسيات النظرية التوليدية التحويلية ، لم تكن هذه القدرة اللغوية بخافية - كذلك - عن إدراك عبد القاهر أو عن إدراكه لدى أهميتها ، فهو يقول : " اعلم أن ليس لنظم ، إلا أن تضع كلامك الرضخ الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه ، التي تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تُخلُ بغير منه " <sup>(٤)</sup> ولعل ذلك يؤكد لنا مدى إدراك هذا العالم الجليل بقواعد الكتابة الذاتية ؛ التي ينبغي أن

(١) نظير تعليم النحو بين النظرية والتطبيق - مجلة الناهل - العدد ٧ سنة ١٩٦٧ من ١١٤ بالمغرب

(٢) دلائل الإحبار ٨٦

(٣) دلائل الإحبار ٤٩

(٤) دلائل الإحبار ٨١

تتوفر لكل متكلم مستمع جيد للغة ، ومن ثم فإن الجمل التي يتم توليدها وفقاً لقواعد الكفاءة الذاتية ، إنما هي جمل أصولية ، لأنها تنتمي إلى الكفاءة الذاتية الصحيحة التي لا يحظى صاحبها ، لأن راسخة في ذهنه وسوخ السليقة ، وينبغي على المتكلم أن يراعى قواعد صحتها ، لكي يكون كلامه صحيحاً وجمله سليمة ، ويتجلى لنا ذلك في قوله : وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه ، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فيبصر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قوله : " زيدٌ منطلقٌ " و " زيدٌ ينطلق " و " ينطلق زيدٌ " و " منطلق زيدٌ " و " زيدٌ المطلق " و " المنطلق زيدٌ " و " زيدٌ هو المنطلق " و " زيدٌ هو منطلق " (١) هذه جميعها جمل أصولية صحيحة استوفت قواعد الكفاءة الذاتية وجاءت متوافقة مع الصحة القاعدية ، التي وضعها علماء النحو في باب " الخبر " (٢)

ويقدم عبد القاهر الجرجاني نماذج أخرى من الجمل العربية ، التي تمثل كفاءة لغوية صحيحة ومن ثم فإنها تعد جملاً أصولية ، تراعى كما أسلفنا الصحة القاعدية ، التي وضعها علماء النحو ، ففي باب الشرط والجزاء يقول : " وفي الشرط والجزاء ( ينظر الباحث إلى ) الوجوه التي تراها في قوله : " إن تخرجُ أخرج " و " إن خرجت خرجت " و " إن تخرج فلنا خارج " و " أنا خارج إن خرجت " و " أنا إن خرجت خارج " .

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قوله : " جاضى زيد مسرعاً " و " جاضى يسرع " و " جاضى وهو مسرع " و " هو يسرع " و " جاضى وقد أسرع " فيعرف لكل من ذلك موضعه ، يجرى به حيث ينبغي له

#### (١) دلائل الإعجاز ٨١

(٢) يذكر تلميذنا ، أن النظرية اللغوية ، يجب أن تطل فكرة المتكلم على أن يتجلى الجمل التي لم يسمعه من قبل ، وعلى أن يتكلمها ، فيقرم على عالم اللغة ، على صياغة القواعد التي يفرضها إنتاج مادة البحث ، أي القواعد القائمة ضمن مقولة متكلم اللغة على إنتاج الجمل وتكلمها

وتكون الجمل أصولية ، عندما يلتقي في تركيبها تركيباً سليماً جيداً ، وتكون هذه الجمل ، مركبة وفق قواعد ضمنية تقود عملية التركيب وتطبقها المتكلم بصورة لا شعورية ، ولكن تكون البنية أصولية يجب ألا تتحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد ، التي تعين توافيق العناصر اللغوية ، في مستويات اللغة الثلاث : المستوى الصوتي والتركيب والدلالي . انظر مباحث في النظرية الأسنوية وتعليم اللغة ١١٠

ويُظن في الحروف التي تشترك ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ،  
صنع كلا من ذلك في خاص معناه ، نحو أن يجيء بـ " ما " في نفي الحال " ويد " لا " إذا  
" أراد معنى الاستقبال ، ويد " إن " فيما يترجح بين أن يكون ، وأن لا يكون ، ويد " إذا " فيما  
علم أنه كائن [ ويُظن في الجمل التي تُسرد ، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع  
لوصل ، ثم يعرف ما حقه الوصل موضع " الواو " من موضع " الفاء " وموضع " الفاء " من  
موضع " ثم " وموضع " أو " من موضع " أم " وموضع " لكن " من موضع " بل " .  
ويصير في التعريف والتذكير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار  
والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي  
له<sup>(١)</sup> ثم يؤكد عبد القاهر : ضرورة توفر الصحة القاعية ، إلى جانب توفر صحة الكفاءة  
الذاتية ، التي لا تكون الجمل أصولية إلا بها بقوله : " هذا هو السبيل ، فطست بواحد شيئاً  
يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم إلا  
وهو معنى من معاني النحو ، وقد أصيب به موضعه ، ووضع في حقه أو عمل بخلاف هذه  
لعاملة ، فازيل من موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له . " (٢)

وفي مقابل تلك النماذج ؛ التي تمثل الكفاءة اللغوية الصحيحة ، وتعد من ثم جملاً  
أصولية ، يقدم لنا عبد الجرجاني ، مجموعة من الأشعار ، التي خرقت في نظمها قواعد  
الأصولية ، ومن ثم فإنها ليست أصولية . لأنها خرقت قواعد التصنيف الجزئي ، كما يطلق  
عليها في النظرية التولييدية التحويلية . ينكر ذلك عبد القاهر قائلاً : " فلا ترى كلاماً قد  
وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفصل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة  
وذلك الفساد وبذلك المزية وذلك الفصل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجهته يدخل في أصل  
من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه<sup>(٣)</sup> ويقدم الجرجاني مجموعة من أشعار الفرزدق  
والمتنبي وأمى تمام ، يؤكد من خلالها فساد نظمها لكونها خرقت في نظمها على معاني

(١) دلائل الإعجاز ٨٦ - ٨٢

(٢) دلائل الإعجاز ٨٢ - ٨٢

(٣) دلائل الإعجاز ٨٢

لحمو وأحكامه التي ينبغي التزامها حيث يقول في قول الفرزدق ( الطويل )<sup>(١)</sup>

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا      أبو أمه حيُّ أبوه يقاربـه

وقول المتنبي : ( الكامل )<sup>(٢)</sup>

ولذا اسمُ أَعْلِيَةِ الْعُيُونِ جَفُونُهَا      من أنها عملُ السيفِ عواملُ

وقوله : ( الكامل )<sup>(٣)</sup>

الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ حَبِيْبُهُ      والماءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْعَاسِلُ

وقوله : ( الطويل )<sup>(٤)</sup>

وَقُلْ كَمَا كَالرَّيِّعِ أَشْجَاهُ طَاسُهُ      بَلَنْ تَسْعِدَا والدمعُ أَشْفَاهُ سَاجُهُ

وقول أبي تمام : ( الكامل )<sup>(٥)</sup>

ثَانِيهِ فِي كِبَرِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ      كَاشِحِينَ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ

(١) يريد " وما مثله حيُّ يقاربه إلا مملوك " أبو أم ذلك الملك أبوه - فعل بهذا على أنه خاله - ويُنصب " مملوكاً " لأنه استثناء مقدم - ما يجوز الظاهر في الضرورية ٢٥٠

(٢) قدم المتنبي التركيب التكميلي - ( عمل السيف ) - المفعول المطلق على التركيب الاسمي : اسم الفاعل ( عوامل ) الذي يعمل عمل الفعل - في قوله ( من أنها عمل السيف عوامل ) ولا يجوز هذا التقديم عند النحاة يقول ابن السراج " وكذا اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل حكمه حكم الفعل " يعني بذلك عدم جواز تقديم اسم الفاعل على مفعوله - الأصول - ابن السراج ٢٢٨/٢

ويقول أيضاً " لئلا عبد الله زيد ضارب " فبمعنى لئلا العامل عن الذي عمل فيه - وطعناك زيد يأكل أبوه - لا يجوزها الفراء - ولا يجوز " أكل " الأصول ٢٤٤/٢

(٣) وأما قوله ( والماء أنت إما اغتسلت الغاسل ) فإنه يريد أن يقول - والماء الغاسل أنت - إذا اغتسلت فيه - فذكر الصفة على الموصوف - ويصل بينهما بالمصير المنفصل " أنت " يقول ابن السراج - " ولا تقدم شيئاً - مما يصل بالصفة على الموصوف الأصول ٢٢٥/٢

(٤) وأما قول المتنبي ( وقُلْ كَمَا كَالرَّيِّعِ بَلَنْ تَسْعِدَا ) فإنه يريد أن يقول ( وبَلَنْ كَمَا بَلَنْ تَسْعِدَا كَالرَّيِّعِ ) حيث قدم جملة الصفة على الموصوف ويمتنع ذلك عند النحاة انظر الأصول ٢٢٥/٢

(٥) قدم أبو تمام المصنف إليه على المصنف في قوله ( كَاشِحِينَ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ ) وكلمة حقه أن يقول كَاشِحِينَ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ يقول ابن السراج " ولا يجوز أن تقدم على المصنف ولا ما اتصل به الأصول ٢٢٦ / ٢

وقوله ( البسيط )

يدى لمن شاء رهن لم يثق جرعا من راحتيك ترى ما الصاب والعسل

وهي تطأثر ذلك مما وصفوه بفساد النظم ، وعابوه من جهة سوء التأليف ، أن الفساد والخلل كان من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه في هذا الشأن على غير الصواب ، وضع من تقسيم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما ليس له أن يضعه ، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم .<sup>(١)</sup>

ثم يلخص الأمر كله بقوله " وإذا ثبت أن سبب فساد النظم واختلاله ، أن لا يعمل بقوانين هذا الشأن ، ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها " <sup>(٢)</sup> وينبغي على الباحث أن يعمل على قواعد الصحة ، سواء في الكفاة الذاتية ، أم في الجمل الأصولية أم في الصحة القاعدية ، حيث يقول : " ثم إذا ثبت أن مستتبط صحته وفساده من هذا العلم ، ثبت أن الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه ، وإذا ثبت جميع ذلك، ثبت أن ليس هو شيئاً غير توخى معانى هذا العمل وأحكامه فيما بين الكلم .<sup>(٣)</sup>

ويقدم الجرجاني مجموعة من الأبيات الشعرية ، يؤكد فيها توفر عناصر الكفاة الذاتية التي تمكن صاحبها من أن ينشئ جملاً أصولية ، تراعى في ذات الوقت الصحة القاعدية ، وذلك في تعليقه على قول البحتري :

بَلَوْنَا خَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى	فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ خُرَيْبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَهْبَتْ لَهُ الْحَدَا	تُ عَزْماً وَشَيْكَا وَرَأْيَا حَلْبِيَا
تَنْقَلُ فِي خَلْقِي مَسْرُود	سَمَاحاً مُرْجِيَّ وَيَّاً سَأَ مَهِيَّاً
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحاً	وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مَسْتَحْيِيَّاً

(١) دلائل الإعجاز ٨٤

(٢) دلائل الإعجاز ٨٤

(٣) دلائل الإعجاز ٨٤



نحده يعلق على هذه الالفاظ بقوله " فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر وعرف وبكر ، وحذف وأضمر وأعاد وكرر وتوحى على الجعلة وجهاً من لوحوه التي تقتضها علم النحو " (١)

لقد أجاد عبد القاهر أيما إجادة ، عندما جعل النظم ، وهو ما يطلق عليه ، نسبة العميقة في النظرية التوليدية التحولية ، جعله يقتضى في نظمه آثار المعنى وترتبه على حسب ترتب المعاني في النفس . ولذلك كان عددهم نظيراً للنسخ والتأليف ولصياغة ولبناء والوشى والتجويد وما أشبه ذلك ، مما يوجب اعتبار الأجراء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علم يقتضى كونه هناك ، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح (٢)

ويعمد عبد القاهر إلى توضيح مفهوم النظم الحقيقي بقوله " أنه لو كان ، المقصد بالنظم إلى اللفظ نفسه ، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ، ثم لنطق بالألفاظ على حذوها . لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن لنظم أو غير لحسن فيه ، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً ، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر " (٣) فهو إن كان يبين أن التركيز الحقيقي ، ينبغي أن يتمثل في الوصول إلى البنية العميقة ، وأن يراعى المتكلم قواعد صحتها ، المتمثلة في القدرة الكامنة في أذهان أصحابها ، إلا أنه يؤكد أهمية قدرة المتكلم على صياغة البنية السطحية ، وفقاً لقواعد الكفاءة في البنية العميقة ، فهو إذن يولى اهتماماً جلياً بما نطلق عليه في النظرية التوليدية التحولية بالعنصر اللغوي ، الذي يعد الوجه الأول للتفسير لدلالي من حيث اتصاله بجوهر التركيب ، والإمكانات التفسيرية المتصلة بالصورة التجريدية يذكر ذلك عبد القاهر قائلاً " وأوضح من هذا كله ، وهو أن هذا "النظم" الذي يتواضعه البلاغة ، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله ، صفة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ، وإذا كانت مما

(١) دلائل الإعجاز ٨٥

(٢) دلائل الإعجاز ٤٩

(٣) دلائل الإعجاز ٥١

يستعان عليها بالفكرة ويستخرج بالروية ، فيبقى أن ينظر في الفكر بماذا نلُص ،  
أبالمعاني أم بالألفاظ ؟ فتى شئ وجهته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ ، فهو  
الذي تحدث فيه صنعك ، ويقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك . (١)

لقد حسم عبد القاهر ، قضية ربط النحو بالدلالة ، وبين أهمية هذا الربط ، وضرورة  
اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي ، تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليئية  
التحويلية في إدراكها ، ومعرفة أهميتها . إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني \* مظاهر  
النظرية النحوية \* والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات . حيث أدرك تشومسكي  
ضرورة إدخال المكون الدلالي ، باعتباره مكوناً تفسيرياً ، من أجل إلقاء الضوء على  
المكونات التركيبية : التي يحدث فيها خرق في قواعد تصنيفها الجزئي ، بخروجها عن  
قواعدها المألوفة ، وصورها البنائية المألوفة . من أمثلة التركيب المجازية على شتى أنواعها ،  
والتركيب الملبسة التي تحتل أكثر من مدلول واحد ، في بنيتها السطحية . لقد حسم عبد  
القاهر هذه المسألة ، بضرورة الربط بين النحو والدلالة حيث نجده يثير تساؤلاً يقول فيه :  
" فإن قيل : النظم ، موجود في الألفاظ ، على كل حال ، ولا سبيل إلى أن يمثل الترتيب الذي  
تبعه في المعاني ، ما لم تنظم الألفاظ ، ولم ترتبها على الوجه الخاص " (٢) ويقدم عبد  
القاهر رأي القائلين بأهمية التركيب دون الدلالة ، كما يقدم رأي القائلين بأهمية الدلالة دون  
التركيب " قيل إن هذا هو الذي يعمد هذه الشبهة جذعاً أهدأ (جديداً) والذي يطها ، أن  
تنظر . أنتصوّر أن تكون معتبراً مفكراً في حال اللفظ حتى نفسه بجانبه لو قبله . وأن تقول:  
هذه اللفظة إنما صلحت لكونها على صفة كذا . أم لا يمثل أن تقول : " صلحت هنا لأن  
معناها كذا ولدالاتها على كذا ، ولأن معنى الكلام والفرش فيه يوجب كذا ، ولأن معنى ما  
قبلها يقتضي معناها ؟ " (٣)

وهو يطلق على الرأيين ، مؤكداً ضرورة الاهتمام بالأمريين معاً قائلاً : " فإن تصورت

(١) دلائل الإحراز ٥١

(٢) دلائل الإحراز ٥١

(٣) دلائل الإحراز ٥٢

أول ، مثل ما شئت ، واعلم أن كل ما فكرناه باطل . وإن لم نتصور إلا الثاني . فلا نخدع أنفسنا بالأضاليل ، ودع النظر إلى ظواهر الأمور ، واعلم أن ما ترى أنه لابد منه من مرقب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ، ليس هو الذى طلبته بالفكر . ولكنه شئ يقع بسبب الأول ضرورة . من حيث إن الألفاظ أوعية للمعاني . فإنها لا محالة تتبع المعانى فى موقعها ، فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً فى النفس ، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً فى النطق . فاما أن نتصور فى الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعانى بالنظم والترتيب ، وإن يكون الفكر فى النظم الذى يتوابعه اللفظاء فكراً فى نظم الألفاظ ، وأن تحتاج بعد ترتيب المعانى إلى فكر تستأنفه لأن تجئ بالألفاظ على نسقها فباطل من لظن ، وهم يتخيل إلى من لا يوفى النظر حقه ، وكيف تكون مفكراً فى نظم الألفاظ ، وأنت لا تعقل لها أوصافاً وأحوالاً ، إذا عرفت عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا <sup>(١)</sup>

ثم يخلص عبد القاهر من ذلك بنتيجة مفادها \* أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخى فى الألفاظ من حيث هى ألفاظ ترتيبياً ونظماً ، وأنت تتوخى الترتيب فى المعانى وتعمل الفكر هناك ، فإذا تم لك ذلك ، أتبعها الألفاظ ، وأقوت بها آثارها ، وأنت إذا فرغت من ترتيب المعانى فى نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً فى ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعانى ، وتابعة لها ، ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعانى فى النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها فى النطق . <sup>(٢)</sup>

ويستطيع أن نقرر بأن عبد القاهر ، قد أولى الجانب الدلالى الأهمية ، التى أولاها للتركيب النحوى ، وأن كليهما فى الميزان راجعان ، ولا ينبغي أن نقسب الواحد منهما فضلاً أو تميزاً على الآخر ، فهما يتضامران من أجل الوصول إلى النظم البليغ !

ومن ثم ، فإن إدراك عبد القاهر لأهمية الجانب الدلالى ، لم يكن إدراكاً بأهميته التفسيرية باعتباره مكوناً تفسيرياً فحسب ، كما يذكر ذلك تشومسكى ، بل إدراك بأهميته

(١) دلائل الإعجاز ٥٢ - ٥٣

(٢) دلائل الإعجاز ٥٢ - ٥٤

دعباره ندأ مماثلاً للتركيب التحوي . " واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا تريب حتى يُطلق بعضها ببعض . ويبقى بعضها على بعض ، ونجعل هذا السبب من تلك . (١)

ولعل إدراك عبد القاهر بأهمية المكون الدلالي ، جعله يأتي به على وجه من التفصيل ، مسبباً أنواعه المختلفة التي يكون عليها في التركيب العربي . حيث يقول : " فالاسم يتعلق بالاسم ، بأن يكون خبراً عنه ، أو حالاً معه ، أو تابعاً له صفة أو تأكيداً أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف ، أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ، ويكون الثاني في حكم الفاعل له ، أو المفعول ، وذلك في اسم الفاعل كقولنا " زيد ضارب أبوه عمراً ، وكقوله تعالى : ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُمَّلُهَا ﴾ ( النساء ٧٥/٥ ) واسم المفعول كقولنا . زيد مضروب ظمأنه . وكقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لِهَ النَّاسِ ﴾ ( هود ١٢ / ١٠٥ ) والصفة المشبهة كقولنا . " زيد حسن وجهه ، وكريم أصله ، وشديد ساعده " والمصدر : كقولنا : " عجبت من ضرب زيد عمراً " وكقوله تعالى : ﴿ أَوْ إِنْ أَنْظِمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ﴾ ( البلد ٢٠ / ١٤ - ١٥ ) وبأن يكون تمييزاً قد جُلَّه منتصباً في تمام الاسم ، ومعنى تمام الاسم أن يكون فيه ما يمنع من الإضافة وذلك بأن يكون فيه نون تثنية ، كقولنا : " قفيزان برأ ، أو نون جمع كقولنا . " مشرون برهما " أو تنوين كقولنا : " واقودُ خلأ " و " مالى السماء قدر راحة سحاباً " أو تقدير تنوين كقولنا . " خمسة عشر رجلاً " أو يكون قد أُضيف إلى شئ فلا يمكن إضافته مرة أخرى ، كقولنا . " لى ملؤه حسلاً . وكقوله تعالى ﴿ حِلَّةُ الْأَرْضِ تَحَبَّأ ﴾ ( آل عمران ٩١/٤ ) (٢)

(١) دلائل الإحجار ٥٥

ولعل عبد القاهر يركز على أهمية الجانب الدلالي . إنما يتفق مع علماء هذا الاتجاه " الذي يطلق عليه . الدلالة التوليدية generative semantics ، هؤلاء الذين يعتبرون التحوي الحقيقي للنظرية الأصلية عند تشومسكي . أو أنه قريب من وجهة نظرهم ، التي ترى أن القدرة التوليدية generative capacity للقواعد النحوية . تتمثل في القواعد الدلالية . وأن تحديد المعنى ومعرفته ، شرط في معرفة العلاقة المسلم بها بين القواعد النحوية والتركيب اللغوي . وهم إذ يفترون ذلك إنما يتخفون من المادة قليلاً يفتنون به في معرفة الصلوات النحوية . انظر نظرية تشومسكي النحوية ١٧٦ - ١٨٨

(٢) دلائل الإحجار ٤ - ٥

أما تعلق الاسم بالفعل ، فمَنْ يكون فاعلاً له أو مفعولاً ، فيكون مصدرأ قد انتصب به كقولك " ضربت ضرباً " ويقال له " المفعول المطلق " أو مفعولاً به كقولك " ضربت زيداً " أو ظرفاً مفعولاً فيه ، زماناً أو مكاناً ، كقولك " خرجت يوم الجمعة ووقفت أمامك " أو مفعولاً معه ، كقولنا " جاء البرد والطيايلة " ولو تركت الناقه وفصيلتها لوضعها " أو مفعولاً له كقولنا " جنتك إكراماً لك " وقطعت ذلك إرادة الخير بك وكقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لِبِطْءٍ مَرْضَاةٍ اللَّهُ ﴾ (النساء ١١٤/٥) ويأن يكون منزلاً من الفعل منزلة لمفعول، وذلك في خبره كان " وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام مثل " طاب زيدٌ " نفساً " وحسن وجهاً " وكرم أصلاً " ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء كقولك " جازني القوم إلا زيداً " لأنه من قبيل ما ينتصب عن تمام الكلام .<sup>(١)</sup>

وأما ما تعلق الحرف بهما ، فعلى ثلاثة أضرب .

أحدهما أن يتوسط بين الفعل والاسم ، فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تُعدى الأفعال إلى ما لا يتعدى إليه بانفسها من الأسماء ، مثل أنك تقول: " مررت " فلا يصل إلى نحو : " زيد " وعمر " فإذا قلت : " مررت بزيد " أو على زيد " وجهه قد وصل " بالباء " أو " على " وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى . " مع " في قولنا : لو تركت الناقه وفصيلتها لوضعها " بمنزلة حرف الجر في التوسط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه ، إلا أن الفرق أنها لا تعمل بنفسها شيئاً ؛ ولكن تعين الفعل على عمله النصب . وكذلك حكم " إلا " في الاستثناء فإنها عندم بمنزلة هذه " الواو " الكائنة بمعنى " مع " في التوسط ، وحمل النصب في المستثنى للفعل ولكن بوسطانها وهون منها

والضرب الثاني : من تعلق الحرف بما يتعلق به " المطف " وهو أن يصل الثاني في محل الأول كقولنا " جازني زيد وعمر " و" رأيت زيدا وعمرأ " و" مررت بزيد وعمر " .

والضرب الثالث : تعلق بمجموع الجملة ، كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجرء بما يدخل عليه وذلك أن من شأن هذه المعاني أن تتناولها بالتغيير ، وبعد أن يسعد

(١) دلائل الإيجاز ٥ ٦

بلى شئ<sup>(١)</sup>

معنى ذلك : أنك إذا قلت : 'ماخرج زيد' و 'مازيد خارج' لم يكن النفي الواقع بها متداولاً الخروج على الإطلاق ، بل الخروج واقعاً من 'زيد' ومصدراً إليه. ولا يفرُّك قول من نحو : 'لا رجل في الدار' إنها لنفي الجنس ، فإن المعنى في ذلك أنها لنفي الكينونة في الدار عن الجنس ولو كان يتصور تعلق النفي بالاسم المفرد ، وكان الذي قالوه في كلمة لتوحيد من أن التقدير فيها : 'لا إله لنا أو في الوجود' ، إلا الله 'فضلاً من القول ، وتقريباً لما يحتاج إليه ، وكذلك الحكم أبداً<sup>(٢)</sup>

وإذا قلت : 'هل خرج زيد' ؟ لم تكن قد استفهمت عن الخروج مطلقاً ، ولكن عنه واقعاً من 'زيد' وإذا قلت : 'إن يأتى زيد أكرمه' لم تكن جعلت الإتيان شرطاً ، بل إتيان من 'زيد' وكذا لم تجعل الإكرام على الإطلاق جزءاً للإتيان ، بل الإتيان واقعاً منك ، كيف ؟ وذلك يؤدي إلى أشنع ما يكون من المحال وهو أن يكون ما هنا إتيان من غير أثر ، وإكرام من غير مكرم ، ثم يكون هذا شرطاً وذلك جزءاً<sup>(٣)</sup>

ليس من شك ، في أن هذا القاهر وهو يستعرض لنا على هذا النحو من التفصيل الشافى الوافى لنماذج التطبيق وأمثته في العربية ، إنما يدل على اقتدار هذا الرجل العالم الممكن ، الذي أدرك بخلته وذكائه العلاقة الوثيقة بين المكون الدلالي والبنية العميقة في التركيب النحوية وأن ما قدمه من أمثلة ونماذج للتطبيق بين الاسم والاسم ، ما كان يمكن الوقوف البتة فيها على دلالاتها الحقيقية ، إلا من خلال الوقوف على البنية العميقة الحقيقية للتركييب المذكورة .

وما كان يمكن استقامة تلك التراكيب وصحتها في بنيتها السطحية ، إلا من خلال لتلويل الدلالي الصحيح ،

---

(١) دلائل الإعجاز ٦

(٢) دلائل الإعجاز ٧

(٣) دلائل الإعجاز ٧

ويفسر درجة تمكنه وإحاطته في إلقاء الضوء على الأبنية السطحية التي حصرها من صور تعلق الاسم بالاسم . يقدم لنا أيضاً حصراً كاملاً لصور تعلق الاسم بالفعل ، مسبباً أن تفسير النماذج التي ذكرها في بنيتها السطحية ، لا يتم بحال من الأحوال ، إلا من خلال الرجوع إلى المكون الدلالي ، الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً بالبنية العميقة للتركيب

كما يقدم - كذلك - تفسيرات جديدة بالاعتبار ، ويقف المرء أمامها مبهوراً ، عندما يلجأ إلى المكون الدلالي ، لكي يقدم لنا تفسيراً للأبنية السطحية من الأمثلة والنماذج التي ذكرها ، وأن هذا المكون يلجأ إلى البنية العميقة من أجل الوقوف على حقيقة تعلق الحرف بكل من الاسم والفعل وما هو التفسير الدلالي الصحيح لكل هذا التعلق

إن نظرة فاحصة متفقة إلى الأمثلة والنماذج السابقة من التعليق على اختلاف صورها لتدل دلالة قاطعة ، على إبراهيم عبد القاهر ، لأهمية المكون الدلالي ، وما يقدمه من تأويلات وتفسيرات وتوضيحات على التركيب ، وأنه شديد الصلة بالبنية العميقة ، التي تعدّه بالتأويلات الدلالية .. هذه الخطوة الفذة ، التي لم يدرك تشومسكي حقيقتها إلا بعد سنوات من ظهور كتابه الأول .. كما أنه لم يدرك مدى فاعلية المكون الدلالي ، وقدرته على التعامل مع نماذج من البنية السطحية ، إلا بعد حشر سنوات أخرى ، بعد ظهور كتابه ، خواطر حول اللغة Reflection on language والذي كان بداية لتحلل تشومسكي من الاعتماد على التراكيب العميقة ، حيث لم تعد المكونات الدلالية مقتصرة في عملها على التركيب العميق وحده ، بل أصبحت تتعامل - أيضاً - مع بعض التراكيب السطحية ، \* إن اتساع آفاق فكرة التركيب السطحي مناسب بكلي لإدراك دلالة الجمل ومعانيها عن طريق تطبيق القواعد المفصلة ، ومن أبرز هذه التراكيب التي استوجب هذا التعميل الجديد ، التراكيب المتعلقة بمماثل الابتداء Focus والكمي quantificateur والنفي وبعض الظروف even, only وبعض الأفعال المساعدة<sup>(١)</sup>

ونستطيع أن نؤكد أن الإضافات والتعديلات التي قام بها تشومسكي ، وما يزال وكذلك

---

(١) مباحث في النظرية اللغوية ١١٨

ما يقوم بها رملاؤه وتلازمته هذه الإضافات وتلك التعديلات ، إنما جاءت لتعالج القصور  
 ناتج عن عدم إدراج المكون الدلالي في أول الأمر ؛ ولا غرابة أن يقول تشومسكى " هناك  
 شعور عام بأن الدلالة هي ذلك الجانب العميق أو الهام من اللغة ، وأن دراسة هذا الجانب  
 لدلالي بما له من صلة في فهم الدلالات العميقة من اللغة وإبرازها . هو الذي يضاف على  
 الدراسة اللغوية هذا الطابع المتميز والمميز . (١)

أما القواعد التحويلية ، وخصوصا الهام في إلقاء الضوء على الأبينة السطحية للتركيب  
 نحوية لمنطوقة ، تلك القواعد الفاعلة ؛ والتي تستعين في عملية التحويل للأبينة العميقة ،  
 بالمكونات التركيبية والدلالية والفونولوجية ، لم تكن هذه القواعد بعيدة عن إدراك عبد القاهر  
 حيث عرضها في كتابه القيم " دلائل الإعجاز " وبين دورها الفعال ، في إلقاء الضوء على  
 التراكيب النحوية . فلقد عرض باقتدار لقواعد التقديم ، ذاكراً أن ذلك . " باب كثير الفوائد ،  
 جم المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية " ويبين أن التقديم يأتي على وجهين .

الأول ، تقديم يقال على نية التأخير ، وذلك في كل شيء أقربته مع التقديم على حكمه  
 الذي كان عليه . وفي الجنس الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ ، وإذا قدمت على المبتدأ ،  
 والمفعول إذا قدمت على الفاعل ، كقولك : " منطلق زيد " و : ضرب عمراً زيد " ومعلوم أن "   
 منطلق " و " عمراً " ، لم يخرجوا بالتقديم ، عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ، ومرفوعاً  
 بذلك ، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله ، كما يكون إذا أخرت .

الثاني : وتقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن تقلل الشيء من حكم . وتجعل له  
 باباً غير بابه ، وإعراباً غير إعرابه . (٢)

(١) نظرية تشومسكي اللغوية - ٢٠٠

(٢) دلائل الإعجاز ١٠٦ وما بعدها

كما قدم ابن السراج حصراً للمواضع التي لا يميز فيها التقديم ويصلها في ثلاثة عشر موضعاً هي

١ - تقديم الصلة على الموصول لأنها كيمصه

٢ - لصلة والبدل والمصطف : " ولا يجوز أن يقدم ما بعد حرف المصطف عليه . وكذلك ما اتصل به . واثنين أجازوا من ذلك  
 شيئاً ، أجازوه في الشعر . ولو جاز ما جاء في ضرورات الشعر أصولاً لزال الكلام عن جهة . فقدموا حرف النسق  
 مع المسوق به على ما نسق عليه وقالوا : إذا لم يكن شيء يرفع لم يميز تقديم الواو واليرت الذي أنشده لأخوس  
 (الواو)



كما يعرض لقواعد الحذف . وينكر أنها تكون إجبارية . وتكون اختيارية . فإنك ترى

عليك ورحمة الله السلام

ألا يأنفك من ذلك عرق

لأنما جاز عنهم . لأن الواقع في مفهوم " طه " وقد تقدم . ولا يجوز للشاعر إذا اضطر أن يقول إن ورداً عمراً قائماً

٢- المضاف إليه " ولا يجوز أن تقدم على المضاف . ولا ما اتصل به . ولا يجوز أن تقدم عليه محض ما اتصل به فتفصل به بين المضاف والمضاف إليه . إذا قلت هذا يوم تصرب ريداً . ولم يجوز أن تقول " هذا ريداً يوم تصرب ولا " هذا ريداً تصرب " أما قول الشاعر : ( التمرير )

له در اليرم من لأمها

وقوله ( الواقف )

يهدى يقارب أن ينزل

كما خط الكتاب بك يهدى

" فزعموا أن هذا لما اضطر فصل بالطرف لأن الظروف تقع مبالغ لا تكون فيها غيرها "

وعلق الظل على ذلك بقوله " أي بك يهدى قال الله تعالى : " زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم " ( الأنعام ١٣٧ / ٦ ) فرق بين المضاف والمضاف إليه . قال أبو الرمة : ( البسيط )

لأخر ليس لصوات القراريج

كان أصوات من إيتاهن بنا

لراء . كان أصوات لآخر ليس .

وقال آخر : ( الطويل )

ومك جزع لن قل : وأولها

وله زعموا أني جزع عليها

إذا خلت يهدى خيرة قسطها

عما ألقوا في الصرب من لا أخاه

يعنى : أخاه من لا أخاه . فتفصل بين المضاف والمضاف إليه

٥ - الاتصال التي لا تصرب

٤ - الطاهر .

٧ - التميز

٦ - ما أصل من الصلابة تشبهاً بأسماء الفاطنين وحصل أصل الفعل

٨ - الحوامل في الأسماء والحروف التي تدخل على الاتصال .

الأول من ذلك : ما يدخل على الأسماء . وحصل فيها . فمن ذلك حروف الجر . ولا يجوز أن يقدم عليها ما عدلت فيه . ولا

يجوز أن يفرق بينها . وبين ما اتصل فيه . ولا يجوز أن يفصل بين الجار والمجرور حشواً إلا ما جاء في ضرورة الشعر .

وأما الحروف التي تدخل على الاتصال . فلا يقدم فيها الأسماء . وهي على ضربين . حروف حوامل وحروف غير

حوامل

٩ - الحروف التي تكون صدر الكلام

١٠ - التفرق بين العامل والمحول فيه بما ليس العامل فيه مسبب وهو غريب منه

١١ - تقديم المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى

١٢ - إذا كان العامل معني الفعل ولم يكن فعلاً

١٣ - التقديم إذا آتيس على المسبق أنه مقدم

وهو قوله ابن السراج هذه المسائل على نحو تعليل . وقد بين بوضوح ما يمكن أن يطرأ على كل مسألة منها من تعديلات

وتعديلات . مع عرض لوجهات نظر العلماء والفتاوى في الأصول في النحو ٢ / ٢٧ ٢٠٤ / ٢

وانظر البطل في النحو . التصويب للظليل بن أحمد ٢٨ وانظر كتب الضرورة الشعرية

به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجذك تنطق ما نكر  
إذ لم سطق ، وأنم ما يكون بيانياً إذا لم تُبنَ ، ويذكر الحذف الإيجازي بقوله : ومم نعد  
ن ليس به لعب الحذف وجه ، قول طرفة (الطويل)

إِذَا شِئْتُ عَقْتُ بِأَجْزَاعٍ مِيشَةٍ      أَوْ الزُّدِّيَ مِنْ تَكْلِيثٍ أَوْ بِتَلَامِيحِ  
مُطَوِّقَةٍ وَرَقَاءٍ تَسُحِّحُ كَلِمَا      دَنَا الصَّبِيغُ وَانْجَابَ الرَّبِيعُ فَانْتَجَمَا  
وقول البحتري : (الطويل)

إِذَا شَاءَ غَوَى صِرْمَةٌ أَوْ غَدَا عَلَى      عَقَائِلَ سِرْبٍ أَوْ تَقَصَّى رَبْرَبًا  
وقوله : (الكامل)

لَوْ شِئْتُ عُدْتُ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً      فَحَلَلْتُ بِهَيْئِ عَقِيْقَةٍ وَزَدَدْتُ

معلوم أنك لو قلت ، وإن شئت أن لا تُرقل لم تُرقل ، أو قلت ، لو شئت أن تعود  
بلاد نجد عودة عدتها ، أنهيت الماء والروث ، وخرجت إلى كلام غث والفظ رث<sup>(١)</sup>

وهو يذكر - أيضاً - أهمية الزيادة ، فيقول : وإذا عرفت هذا ، فإن هذا المعنى  
بمعينه قد أوجب في بيت ذي الرمة أن يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحتري ، فيعمل  
الأول من القطعين ، وذلك قوله : (الواهر)

وَلَمْ أَمْدَحْ لَأَرْضِيَّةٍ بِشِعْرِي      لَتَيْمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

أعمل ، لم أمدح ، الذي هو الأول ، في صريح لفظ ، التيم ، و أرضى ، الذي هو  
الثاني في ضميره وذلك لأن إيقاع نفي المديح على التيم صريحاً والمجئ به مكشوفاً ظاهراً  
هو لواجب من حيث كان أصل الفرض ، وكان الإرضاء ، تعليلاً له ، ثم يقول موضحاً ولو  
أنه قال ، ولم أمدح لأرضى بشعري لتيماً لكان يكون أبهم الأمر فيما هو الأصل وأبان  
فيما ليس بالأصل<sup>(٢)</sup>

(١) دلائل الإيجاز ١٤٦ وما بعدها

(٢) دلائل الإيجاز ١٧٠

ويوضح عبد القاهر أيضاً أهمية الزيادة بصورة أوضح فيقول ولهد الذي ذكرنا من أن التصريح عملاً ، لا يكون مثل ذلك العمل اللفظية ، كان لإعادة اللفظ في مثل قوله تعالى ﴿ وَيَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقُّ نَزَلَ ﴾ ( الإسراء ١٧ / ١-٥ ) وقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ( الإخلاص ١١٢ / ١-٢ ) من الحسن والبهجة ، ومن الفخامة والنيل . مالا يخفى موضعه على بصير . وكان لو ترك فيه الإظهار إلى الإصرار فقليل " ويالحق أنزلناه وبه نزل " و " قل هو الله أحد هو الصمد " تعدت الذي أنت واجده الآن " (١)

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني ، هو الفارس المجلى - حقاً - في ميدان النحو التحليلي ، على النحو الذي أكدناه ، من إبراكته للعديد من الأسس والمنطقات ، التي جتمعتها النظرية التوليدية التحليلية سواء عند تشومسكي راندها وصاحبها أم عند تلا مذهبه وزملائه .

لإن سييويه ، العالم النحوي الجليل ، صاحب أول عمل نحوي متكامل يصل إلينا ، وبالرغم من كونه يمثل مرحلة النشأة والتكوين لهذا العلم العربي ، وأن النشأة من شأنها أن يعثرها شيء من القصور ، أو عدم الوضوح ، فإن الذي لا شك فيه أن كتاب " سييويه " قد جازا في صورة مثلى ، وعلى درجة عليا من درجات الرقي العلمي ، ولا ينبغي أن تصدر أحكاماً مبهمة ، تصم هذا العمل الجليل بالصعوبة أو بعدم المنهجية والاتساق ( متعللين بأنه يمثل البداية التي من شأنها أن تنتهي على نحو من عدم الوضوح والاكتمال ، (٢)

إن إعادة قراءة الكتاب ، في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث ، أمر ضروري ، بل واجب علمي ، تتطلبه ضرورات التقديم لهذا التراث العربي الأخر .

ينبغي إذن على طمأنتنا وباحثينا ، أن يتوقفوا ملياً أمام هذا الصنيع ، وأن

(١) ، لا تل الإجاز ١٧٠

(٢) لا ينكر فضل هذا الكتاب وأثره . إلا جلد . فقد نال الكتاب إعجاب القدماء والمحدثين من العلماء اللغويين والمصنفين ولا يسع المجال لنكر أقوال العلماء وتقريظهم وتأنيدهم على الكتاب وصاحبه فقد صممه سييويه مسودات الدراسة اللغوية من أسس وأسس وبراكيب . على نحو من الإتقان والإحكام

يستخلصوا من تقسيماته ومصطلحاته ، مقاصدها الاسامية ومعانيها الجوهرية لى  
شبر إليها ، وكيف أنها لا تختلف فى كثير من مقاصدها عن سواها من النصباب  
و تقسيمات التى تقدمها المناهج اللغوية الحديثة

من مواربة فاحصة مدققة بين ما ذكره سيبويه عن استقامة الكلام واستحالته فى ما  
عنده لذلك سماء <sup>(١)</sup> باب الاستقامة من الكلام والإحاطة <sup>(٢)</sup> الذى يقسمه إلى خمسة  
أقسام قائلاً <sup>(٣)</sup> : منه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو  
محال كذب <sup>(٤)</sup> ثم يمثل لهذه الأقسام الخمسة بقوله

- ١ - فأما المستقيم الحسن فقوله : أنتيك أمسى ، وسأنتيك غدا .
- ٢ - وأما المحال ، فإن تنقض أول كلامك بآخره ، فنقول ، أنتيك غداً ، وسأنتيك أمسى .
- ٣ - وأما المستقيم الكذب ، فقوله : صلت الجبل ، وخربت ماء البحر ونحوه .
- ٤ - وأما المستقيم القبيح : فإن تضع اللفظ فى غير موضعه ، نحو قوله ، قد زيدا  
رأيت ، وكى زيدا يأتبك ، وأشباه هذا .
- ٥ - وأما المحال الكذب ، فإن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس <sup>(٥)</sup>

لقد جعل سيبويه الكلام المستقيم ثلاثة أقسام وهى :

- ١ - المستقيم الحسن
- ٢ - المستقيم الكذب
- ٣ - المستقيم القبيح .

فى حين جعل الكلام المحال فى قسمين اثنين وهما :

- ١ - المحال .
- ٢ - المحال الكذب .

فالكلام عنده إذن قسمان اثنان لا ثالث لهما وإن مقارنة فاحصة ، تؤكد لنا بوضوح  
مدى الصلة بين مصطلحي الكلام المستقيم ، والكلام المحال عند سيبويه ، وبين

[١] لكتاب ١/ ٢٥

[٢] الكتاب ١/ ٢٥

[٣] الكتاب ١/ ٢٥-٢٦

## مصطلحي الكلام الأصولي والكلام غير الأصولي عند تشومسكي

ولكننا لا نعلم إلى جانب هذين المصطلحين الأساسيين ، وجود مصطلحات أخرى ،  
تتصل بالمصطلحين السابقين ، ويمكن تصنيف هذه المصطلحات إلى مايلي

- |            |            |          |
|------------|------------|----------|
| ١ - جيد .  | ٢ - عربي . | ٣ - كثير |
| ٤ - جائز . | ٥ - أقيس . | ٦ - غلط  |

وتأتي هذه المصطلحات في الكتاب ، على صور متنوعة من الأوصاف والمسميات ، على  
النحو الآتي

- ١ - ففي مصطلح جيد يقول أيضاً : جيد بالغ وأقوى وأجود وأكثر
- ٢ - وفي مصطلح عربي يقول أيضاً : عربي جيد ، وعربي حسن ، وعربي جيد حسن ،  
وعربي جائز وعربي كثير
- ٣ - وفي مصطلح كثير يقول أيضاً : أكثر ، وأكثر وعربية كثيرة ، وأكثر وأجود ،  
والغالب في كلام الناس ، وأعرف وأكثر ، وليس بالكثير ، وقليل ، وأقل ، وقليل  
خبيث .
- ٤ - وفي مصطلح جائز يقول أيضاً : جائز بعيد ، وجائز قبيح ، ولم يجر ، لا تقول ،  
ولم يجر إلا في الشعر
- ٥ - وفي مصطلح غلط يقول أيضاً : خطأ وضعيف وخبيث .

ولا شك أن هذه المصطلحات ، بلوصافها ومسمياتها المختلفة ، تمت بصلة من  
الصلات بالمصطلحين الأساسيين ، الاستقامة والإحالة ، وأنها جميعاً تتعلق بمسألة  
الاعتماد على الحدس اللغوي

وبهنا في هذا المقام ، أن تؤكد مجموعة من الأمور الهامة ، التي اعتمدها سيبيويه  
أساساً لكون الكلام مستقيماً أو محالاً ، فيما يسمى عند تشومسكي ، بأسئلة الكلام وعدم

‘أصوليته’ ، أو فيما سماه سييويه ، عربياً أو جيداً أو كثيراً أو غيرها من المصطلحات التي تعتمد عليها الباحث أو العالم اللغوي على الطمس اللغوي ، أو التضمن الصحيح لدى شومسكي أيضاً

ومن تحليلاً لعناصر الجمل التي أوردها سييويه ، يؤكد - لنا - أن هذه الجمل يتواهر لها ‘سبب’ أصوليتها وغير أصوليتها من جانب ، وأسباب مقبوليتها وعدم مقبوليتها من جانب آخر

- وفي قوله : ‘أما المستقيم الحسن فقواك ، أتيتك أمس ، وسأتيك غداً’ <sup>(١)</sup> فإن الجملتين السابقتين . ١ - أتيتك أمس . ٢ - سأتيك غداً ، جملتان أصوليتان ، جاعتا متناسبتين ومتوافقتين مع القواعد التركيبية ؛ التي تحكم العلاقة بين الفعل والظرف في اللغة العربية ، حيث جاء الفعل الماضي ‘أتى’ مع الظرف ‘أمس’ الدال على الزمن الماضي ، في حين جاء الفعل المستقبل ‘سأتيك’ مع الظرف ‘غداً’ الدال على الزمن المستقبل أيضاً ، مرعياً قواعد التصنيف الجزئي الخاصة بصحة التركيب نحوياً ، والسمات الانتقائية المتعلقة بالدلالة والفونولوجية.

- وفي قوله . ‘وأما المحال ، فإن تنقض أول كلامك بأخرك ، فتقول : أتيتك غداً ، وسأتيك أمس’ <sup>(٢)</sup> فإن الجملتين السابقتين . ١ - أتيتك غداً . ٢ - سأتيك أمس . جملتان غير أصوليتين ، لأنهما تفتقدان عناصر المناسبة والموافقة مع القواعد التركيبية ؛ التي تحكم العلاقة بين الفعل والظرف في اللغة العربية ، فليس ثمة تناسب أو توافق بين الفعل الماضي : ‘أتى’ والظرف الدال على الزمن المستقبل ‘غداً’ وبين الفعل المستقبل ‘سأتيك’ والظرف الدال على الزمن الماضي : ‘أمس’ وذلك لأن صياغة الجملتين السابقتين ، قد خرفت قواعد التصنيف الجزئي ، التي تتضمن صحة التركيب النحوي كما اختلت بالتالي قواعد الإسقاط الدلالية والفونولوجية !

(١) الكتاب ١ / ٢٥

(٢) الكتاب ١ / ٢٥

أما قوله " وأما المستقيم الكتب فقولا حملت الجبل وشربت ماء البحر وسحوة .

- وقوله " وأما المحال الكتب . فنقول سوف أشرب ماء البحر أمس " (١) فإن  
جمل الثلاث السابقة ١- حملت لحمل ٢ شربت ماء البحر ٣- سوف أشرب ماء  
لشرب أمس

هذه الجمل جميعها جمل غير مقبولة غير أن الحملتين الأولى حملتان تتوافران لهما  
عناصر الأصولية ، من حيث التماسك والتوافق بين عناصر الجملة فيهما غير أنهما غير  
مقبولتين من حيث دلالتيهما ! فالجملتان راعتا قواعد التصنيف الجرنى في التركيب لنحوي ،  
في حين بعدهما وقد انتقضتا قواعد الإسقاط الدلالية والسمات الانتقائية

أما الجملة الثالثة ، فهي جملة غير مقبولة ، وغير أصولية في أن ، لأنها تفقد إلى  
عناصر المقبولة والأصولية ، فبالرغم من مراعاتها قواعد التصنيف الجرنى إلا أنها تفقد  
لعناصر الكفاءة اللغوية الصحيحة كما أنها تمثل إخلالاً بقواعد الإسقاط الدلالية والسمات  
الانتقائية

- أما قوله " وأما المستقيم القبيح ، فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك  
قد زيداً رأيت ، وكى زيداً يتيك ، وأشباه ذلك . " (٢) .

فالجملتان السابقتان ١- قد زيداً رأيت ٢- كى زيداً يتيك . جملتان أصوليتان  
غير أنهما قبيحتان ، فليس ثمة تناسب أو توافق بين عناصرهما التركيبية في قواعد الكلام  
العربي النثرى ! بيد أن قواعد التركيب في الشعر العربي ، تسمح بذلك على سبيل الضرورة  
لشعرية ، وقد ذكر ذلك سيوريه في قوله " وذلك أن من الحروف حروفاً ، لا يذكر بعدها إلا  
الفعل ولا يكون الذي يليها غيره ، مظهراً أو مخموراً ، فما لا يليه الفعل إلا مظهراً قد  
وسوف ، ولما ، ونحوهن فإن اضطر شاعر فقدم الاسم ، وقد أوقع الفعل على شيء من  
سمه لم يكن حد الإعراب إلا بالنصب وذلك نحو لم زيداً أضربه . ( إذا اضطر شاعر فقدم

(١) الكتاب ١/ ٢٦

(٢) الكتاب ١/ ٢٦

(٣) الكتاب ١/ ٢٦

لم يكن إلا النصب في زيد ليس غير ، لو كان في شعر [ لأنه يضمن الفعل إذا كان ليس مع  
 يليه الاسم كما فعلوا ذلك في مواضع ستراها إن شاء الله . فإن قلت هل زيداً رأيت ،  
 وهل زيد ذهب ، ولم يجوز إلا في الشعر ، لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل  
 من ضطر شاعر فقدم الاسم نصب ، كما كنت فاعلاً ذلك بقدر ونحوها <sup>(١)</sup> وكذلك  
 قوله ' و علم أن حروف الاستفهام كلها يتيح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد  
 الاسم لو قلت هل زيد قام ، وأين زيد ضريته . وأم يجوز إلا في الشعر ، فإذا جاء في  
 لشعر نصبته ، إلا الألف ، فإنه يجوز فيها الرفع والنصب ، لأن الألف ، قد يبدأ بعدها  
 لاسم فإن جئت في سائر حروف الاستفهام باسم وبعد ذلك الاسم اسم من فعل نحو  
 ضارب ، جاز في الكلام ؛ ولا يجوز فيه النصب إلا في الشعر . لو قلت هل زيد أنا ضاربه ،  
 لكان جيداً في الكلام ، لأن ضارباً اسم وإن كان في معنى الفعل . ويجوز النصب في  
 لشعر . <sup>(٢)</sup>

وأعلنا فلنحظ مدى اعتماد سيويوه على المكون الدلالي في المصطلح . المستقيم الكذب ،  
 فعدم مقبولية هذا المصطلح راجع إلى الإخلال بقواعد الإسقاط الدلالية والسمات الانتقائية.  
 ومع ذلك نلاحظ أن سيويوه ، يعتبر الكلام المستقيم الكذب ، كلاماً مستقيماً قبل أن  
 يكون كذباً ، ومن ثم لا يعود وينكر هذا الصنف من الكلام في كتابه ، نستدل من ذلك أن  
 سيويوه قد أقام في مجال تحليل اللغة ، فاصلاً واضحاً بين الدلالة والنحو ، واعتبر -  
 بالتالي- أن الدلالة لا تدخل في تحديد استقامة الكلام، أي أصولية الجمل . <sup>(٣)</sup>

بدلنا ذلك على أن القدرة التوليدية عند تعتمد على القواعد النحوية والمكونات  
 التركيبية على عكس ما قررناه عند عبد القاهر ، الذي تؤكد تحليلاته السالف ذكرها ، أنه  
 يجعل القدرة التوليدية للقواعد النحوية معتمدة على القواعد الدلالية ، في المقام الأول ، ولعل  
 هذا الاختلاف، يرجع إلى الاختلاف بين عالين ، يهتم أحدهما بالصحة النحوية من أجل  
 صحتها فحسب فيما يهتم الثاني بالصحة النحوية من أجل بيان وجوه البلاغة والفصاحة

(١) الكتاب ١/ ٩٩

(٢) الكتاب ١/ ١٠١

(٣) بحوث أسفة عربية ٢٢



لقد استقى سيبويه مادته اللغوية التي أسس عليها قواعد الكتاب من مصادر متنوعة تشتمل على شواهد القرآن الكريم والشعر العربي والأمثال العربية، إلى جانب سماعه عن أمواه العرب - الذين يثق في فصاحتهم وبياناتهم - وعدم إنحرافه عن المستوى لصوبي اللغة العربية الفصحى ، فقد أخذ مشاقفة عن قتاتل مصم وقنس وأسد وبعض طس وهديل

فسيبويه إذن قد اعتمد على النوعين كليهما - اللذين يمثلان مصدراً للمادة اللغوية وهما المادة المنونة المكتوبة ، والمادة المطوقة المسموعة ، وهو في كليهما ، قد اعتمد على مصادر تعتل -- بحق - متكماً مستمعاً جيداً للغة المراد راستها وتحليلها

لقد اعتمد سيبويه إذن ، شقة في ذلك ، شأن أستاذة الطبل ومن سبقه من علماء اللغة العرب ونحاتهم على مادة لغوية غزيرة ، تعتل - بحق - اللغة العربية الفصحى خير تمثيل ، فقد اعتمد على عينات لغوية عديدة ومنقوعة ، تمتد عبر الزمان والمكان ، حيث نهده يستشهد بشعراء من العصر الجاهلي ومصدر الإسلام والمصر الأموي ، عبر مساحة زمانية تجاوزت الثلاثة قرون ، كما اعتمد على حوالي مائة وخمسين قبيلة وعشيرة عبر المكان ، وهو قد انتقاها من بين سائر قبائل العرب ، باعتبارها القبائل الهندية ، التي احتفظت بفصاحتها وبياناتها ، ولم تصب ألسنتها بلحن أو بإنحراف ، ولم تتأثر لغاتهم بلقوام أخرى من غير العرب.

إننا أمام عالم نحوي ، قد أجاد اختيار مادته اللغوية ، ممتداً فيها على حدس العربي الموثوق به ، وأيس يعترض على قولنا هذا معترض ، فيقول بأن سيبويه كان يتخير شاهداً نحوياً واحداً أو أكثر لشاعر عربي من قصيدة طويلة ، من بين قصائده المتعددة ، أو أنه كان ينخير جملة أو عبارة أو عديداً محبواً منها ممن يسمعها عن أفواه رواة نون سماعه سائر جملة أو صاراته الأخرى العديدة .

فمن المعلوم أن الباحث اللغوي لا يمكنه بحال من الأحوال أن يعتمد على جميع الشروء والحمل التي ينتجها أصحاب اللغة المعينة ، فهذه الجمل والشواهد مهما تعددت

لا تمثل حصراً لهذه اللغة تلك هي وجهة نظر همبولدت ، التي أقرها تشومسكى بقوله  
ليس من الجديد القول أن اللغة حبيثة على أساس نظام من القواعد ، تقرّر تأويل جمل لغة  
لكثيرة بغير حدود ، ويقول أيضاً " إن همبولدت قد عبر عن هذا بشكل واضح قبل ما يزيد  
عن قرن في مقدمته لعلم اللغة المشهورة بأن اللغة تستقطن بشكل غير محدود وسائر  
محدودة ، وأن قواعد اللغة ، يجب أن تصنف العمليات التي تجعل هذا ممكناً " (١)

نستطيع أن يذكر أن سيبيويه ، قد اعتمد على منهج شامل في إطار جمعه للمادة  
اللغوية ، يعتمد فيه على أساس مسالة الحدس اللغوي ، للعربي الفصحى الموثوق بسلامة  
لسانه وبيانه .

إن اعتماد سيبيويه على سليقة العربي السليمة ، هو اعتماد على كفاءة هذا العربي  
ومقدرته اللغوية الصحيحة ؛ تلك الكفاءة اللغوية ، التي تمثل المعرفة الضمنية لدى المتكلم  
بقواعد اللغة ، والتي تتيح له إنتاج الجمل على النحو الذي نجده عند تشومسكى ، وأن  
عتماده على نطق الأعراب البدويون سوامم ، هو اعتماد على أدائهم الكلامي ، واعتداده  
بقواعد هذا الكلام المنطوق والأداء الفطري الصحيح ، يأتي هذا الاعتماد متفقاً مع ما حددته  
تشومسكى من قواعد الأداء اللغوي أو الكلام المنطوق ؛ الذي يأتي متفقاً مع قواعد الكفاءة  
اللغوية ، أو مختلفاً عنه .

إن اعتماد سيبيويه في تصنيفه الكلام ، على أسس نحوية تركيبية ، كما هو الحال عند  
تشومسكى واتباعه ، أمر لا يخفى على كل ذي نظر ويحصر بآراء سيبيويه وأقواله ، حيث إن  
لكلام المستقيم في نظره ، هو الكلام المركب أو المبني ، وفق الأصول اللغوية النحوية ،  
وللكلام لسان حال هو الكلام الذي ينحرف عن الأصول من حيث إن تركيبه أو ببناءه لا يراعى  
لقواعد التركيبية النحوية .

---

(١) مفاهيم النظرية النحوية ٢٥

## – نظرية العامل بين التحليل وتشومسكي

حطت نظرية العامل باهتمام اللغويين المحققين ، في الربع الأخير من القرن العشرين ، حيث فرضت هذه النظرية نفسها على ساحة الدراسات اللغوية ، بحيث أصبح النموذج الأمثل ، عند علماء النظرية التوليدية التحويلية ، فقد ألف تشومسكي N. Chomsky رائد هذه النظرية ومؤسسها عملياً هامين ، حول نظرية العامل ، حسباً أهميتها وفعاليتها في تحليل التراكيب التحويلية ، وإلقاء الضوء عليها .<sup>(١)</sup>

تطلق نظرية الربط العاملي عند تشومسكي ، من مصطلقين أساسيين ، تقسم بهما عناصر التركيب النحوي ، هذان الأساسان هما

١ – الأثر : " Trace "

٢ – المضمرة " Pronominal " (في حالة كونه مستتراً وليس له تمثيل صوتي)

أولاً : الأثر : " Trace "

يأتي في صورة مركباً اسمي ، أو مركب حرفي ، وهو يشتمل على قرنية بالواضحة فحينما تنقل مركباً اسمياً في التبشير مثلاً من مكان المفعول إلى مكان البؤرة ( بمعنى انتقاله من موضع المكمل النحوي إلى موضع المسند إليه ) يترك هذا المنقول وراءه ، مركباً اسمياً يشغل موقعاً لا يزيد عن كونه عنصراً معجمياً ، وليس مكوناً من مكونات التركيب ، يطلق عليه . عجرة . " node " ، يزود هذا المركب بقريبة تدل على أنه مربوط إحصائياً بالعنصر المعجمي . الذي انتقل إلى مكان البؤرة ، وبهذا نستطيع المحافظة في البنية السطحية على العلاقات المعنوية – thematic relation من طريق هذه الآثار .

ثانياً المضمرة " pronominal " ( الذي ليس له تمثيل صوتي منطوق )

لأنه يمثل المنطلق الحقيقي ، التي يمثل حقيقة هذه النظرية ، فهو كما أسلفنا مضمرة ولكنه من نوع خاص ، لا يملك تمثيلاً صوتياً ، وهو يمثل – لدى تشومسكي ، أهمية كبرى

(١) السلفان هما 1) Lectures on government and binding , dordrecht foris 1981

2) Some concepts and consequences of the theory of government and binding cambridge MIT press 1982

باعتباره مكوناً كبيراً Major Constituent يظهر في البنية المكونية ( Constituent Structure ) أماكن المركبات الاسمية الظاهرة ، إلا أن توزيعه يختلف عن توزيع هذه المركبات الاسمية المألوفة معجماً ، لأن هذه المركبات يلزمها أن تأخذ علامة إعرابية : بينما هذا المضمير ، ليس معمولاً حتى يمكن أن يظهر في التركيب في حالة كونه معروفاً<sup>(١)</sup> .

وينمىز المضمير "Pronominal" كما يرى تشومسكى ، بأنه يتضمن إمكانية كونه مضمراً من جهة ، وعائداً "enaphor" من جهة أخرى والمضمير كما هو معلوم ، لا يربط داخل الجملة ففي المثالين ١ - ضربه زيد . ٢ - أعطيت زيدا إياه

فإن ضمير الغيبة ( الهاء ، إياه ) لا يمكن إحالتها على زيد ، لكنه يمكن إحالتها على مركب غير موجود في الجملة ، هذه الإحالة ، تسمى بالإحالة المنفصلة disjoint reference " بمعنى أنها منفصلة عن الإحالات الممكنة داخل الجملة وميدان الإحالة ، هو الجملة أو المركب الاسمي ، أو الإسقاط الأكبر بصفة أعم "Maximal projection" أما في المثال ، أدخل زيد مكتبه .

فإنه يمكن إحالة الضمير على زيد ، لأن ميدان الإحالة المنفصلة ، هو المركب الاسمي : ( مكتبه ) فالضمير متصل إحيالاً في المركب الاسمي ، ولكنه حر في الجملة ، ولذلك أمكن إحالته على زيد ، هذه الإحالة المنفصلة ، تنطبق على المضمير ، كما تنطبق على الضمير ، ففي المثال : ضربه ، فإن في الجملة موضوعين : المفعول ، وهو الضمير المتصل ، والفاعل : وهو المضمير ، وهذا المضمير لا يمكن أن يشترك إحيالاً مع الضمير المتصل (المفعول) فالفاعل هنا لا يمكن أن يكون هو المفعول ، وكذلك الشأن مع المصغر ، إذا قلت أراه قتله

فإن فاعل القتل هو المضمير ، ومضمير هنا يرجع إلى زيد ، إلا أن الضمير المتصل ( لهاء ) لا يمكن أن يرجع إلى زيد . والسبب هو أن المضمير والضمير المتصل ( الهاء ) منفصلان إحيالاً<sup>(٢)</sup> ويرى تشومسكى أن المضمير كالضمير في إمكان وجود مفسر له .

(١) انظر الأساسيات واللغة العربية ١٧١

(٢) انظر الأساسيات واللغة العربية ١٧٢

داخل نفس الإسقاط وبناءً عليه ، يمكن اعتبار المضمرة عائداً في نفس الوقت ، وفي ذلك يقول تشومسكي " لننظر إلى المضمرات " pronominals " التي بدون محتوى صوتي لاحظوا أنها تشبه الضعائر البارزة في كونها ليس لها سابق antecedent أو مفسر ، في جملها أو في التركيب الاسمي الذي تحتويه والمضمرات تشبه أيضاً العوائد لأنها ذات مضمون إحالي في ذاتها ، ولكنها تتخذ إحالتها من سابقها ، أو يكون تأويلها غير محدد Intention interpretation وينقصها مرجع محدد ، وعلى هذا يمكن اعتبار المضمرة عائداً<sup>(١)</sup> وبمطلقاً من هذا التصور ، تتحدد الخصائص الإحالية للمضمرة ، لأنه مركب اسمي كسائر المركبات الاسمية ، والمركبات الاسمية على نوعين .

١ - مركبات حرة إحالياً free ٢ - مركبات مربوطة إحالياً bound or referential

إن نظرية الربط الإحالي ، التي يقترحها تشومسكي تعتمد على مفهوم العمل في صياغة المبادئ التي تكونها وهذه المبادئ هي

أ - كل عائداً يجب أن يربط في مقولته العاملة government category

ب - كل ضمير يجب أن يكون حراً في مقولته العاملة .

ج - كل تعبير محيل حر . referential expression<sup>(٢)</sup>

يتجلى لنا بعد هذا العرض ، لمفهوم نظرية العامل والربط السياقي ، عند ردها تشومسكي ، أن المركبات الاسمية تكون على نوعين باعتبار العمل

١ - مركبات معمول فيها . ٢ - مركبات غير معمول فيها .

وأن العوامل هي الفعل والحرف بالدرجة الأولى

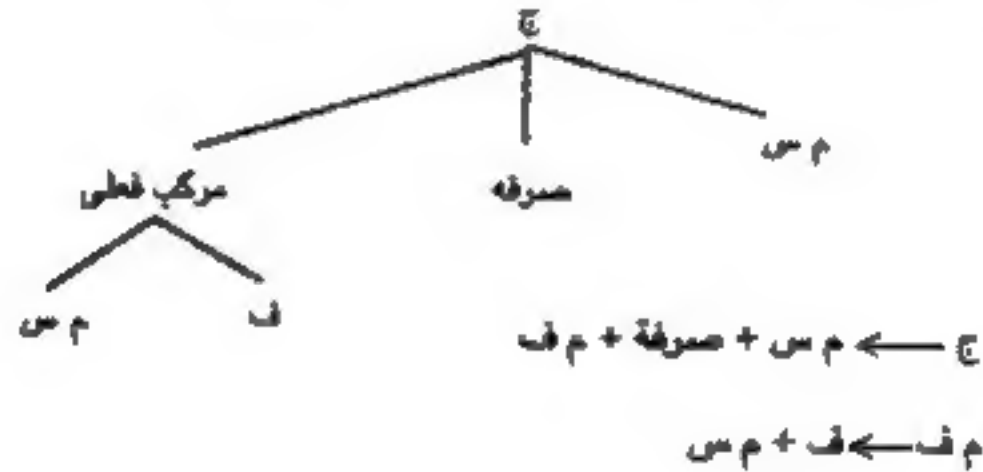
كما يتجلى لنا مدى أهمية عنصرى الأثر والمضمرة ، في تأسيس هذه النظرية، وأن

(١) يقترح د. عبد القادر الحامسي الفوري أن يكون مصطلح مضمرة ، ترجمة اللفظ (pronomina) ومصطلح ضمير ، ترجمة اللفظ pronoun فالضمير بهذا المعنى يشمل الضمير (الفعل المتأخر) عند تشومسكي ويشمل الضمير المنصل (clitic) وكذلك المضمرة ، وهو غير متأخر

(٢) انظر المسانسات واللفظة العربية ١٧٢

تحديد العامل والمفعول وما يصلح أن يكون معمولاً ، وما لا يصلح أن يكون معمولاً ، كل هاتيك من الأمور الهامة : التي من شأنها أن تلقى الضوء على التحليل الشجري التراكيب النحوية في بنيتها السطحية ، بعد أن كانت من قبل تستند قدرتها التوليدية من البنية العميقة .

لعل اعتماد نظرية العامل عند تشومسكي على عنصرى : الأثر والمضمر ، والتفاعل الكائن بينهما ، لعل هذا التفاعل الذي أتوكة تشومسكي بين هذين العنصرين ، هو الذي دفعه أن يجعل منها قاعدة كلية ، يفترض فيها أن العامل في المفعول هو الفعل ، وأن العامل في الفاعل ، هو ما يسمى : الصيغة والتي تتضمن صفات التطابق والزمن والجهة . وهذا العمل يتم بواسطة افتراض بنية شجرية تولدها القاعدة الآتية : (١)



(١) انظر : المصانيف واللغة العربية ١٨٤ ويظهر أن نظام التركيب في الجملة العربية يختلف عن القاعدة : التي ذكرها تشومسكي . في التخطيط الشجري ، حيث لا تتضمن جمل العربية وجوه حاملين : أحدهما يخص الفاعل ، والآخر يخص المفعول ، فالعامل في تركيب العربية يعمل في الفاعل والمفعول على السواء ، فالفاعل مثلاً ، يقوم بعملية الرفع في الفاعل والنصب في المفعول . والفعل التاسع ، يقوم بالرفع في المبتدأ والنصب في الخبر وهكذا ..  
والعامل في العربية إما أن يكون لفظياً ، مثل الفعل والعرف والأداة . وإما أن يكون معنوياً كالاتداء وقد يكون العامل ظاهراً وقد يكون مستتراً ، وقد يجوز حذف وقد يجب ، كما هو وارد في أبواب المدح والذم والتعظيم والاختصاص .  
غير أن فكرة العامل ، نشأت بالتأثير الفلسفي والفقهية ، ووداً من نظرة الطماء والنحاة في أن العامل هو نتاج لعملية التفاعل والتأثير بين عناصر التركيب ، أصبح ينظر إليه على أنه بمنزلة اللطة من المعلوم ، ولم يعد الأمر مقصوراً على علة واحدة . وإنما على علة متعددة أوصلوها بعضهم إلى ثلاثة ، وقد ظهرت قضايا فلسفية ومنطقية في النحو العربي . مثل باب : التنازع ، الذي نتج عن عدم قبول اجتماع حاملين في معمول واحد عطفياً ، ومن ثم فإن النحاة عندما حدث واجتمع الحاملان وتنازعا معمولاً واحداً ، ذكروا المصنوع علةً واحداً دون الآخر .

إن فكرة التأثير هذه مع اختلاف الأسس والمنطلقات التي تتسم بها أية لغة عن غيرها من اللغات ، كانت هذه الفكرة ؛ هي الباحث لنظرية العامل في النحو العربي ... وينبغي أن ندرك أن هذه الفكرة ، كانت مستقرة في أذهان النحاة العرب ، منذ بدايات التفكير النحوي . لقد أدرك النحاة العرب قدرة التفاعل والتأثير بين مكونات التركيب النحوي بعضها مع بعض .

ولعلنا نلاحظ أن الخليل بن أحمد ، وهو من أوائل النحاة الذين أدركوا فكرة العامل وأولوها الأهمية والاعتبار . فقد جاءت هذه الفكرة - في أغلب الظن - من ملاحظاته ذلك التفاعل بين الحروف والحركات والكلمات ، مما جعله يطمئن إلى أن هذه الظواهر اللغوية ، سواء أكان منها ما يتصل بالبناء أم ما يتصل بحركات الكلام ، ترجع إلى هذا التأثير الكامن في طبيعة الحروف والكلمات <sup>(١)</sup>

والذي لا شك فيه ، أن نظرة الخليل إلى العامل كانت في ضوء تنويع الحروف ومراقبته الكلمات في ثنايا التأليف ، وملاحظته التفاعلات اللغوية بين الأصوات والكلمات <sup>(٢)</sup> . لقد كان الخليل وهو يتلوق بحروف العربية ، ويحدد مخرجها ومدارجها ، فإنه - كذلك - كان معنياً بمعرفة تألفها وانسجامها من جهة ، وتنافرها وتباعدها من جهة أخرى . وكان يرى " وهو يرصد نماذج الحروف ، إن لبعضها تأثيراً في بعض ، بل تأثيراً في بناء الكلمة .. ولاحظ أن بعض الحروف أقوى من بعض " وأن للقوى تأثيراً في الضعيف ، ولذلك كانوا يقيمون القوى إذا اجتمع في كلمة واحدة <sup>(٣)</sup>

وكان من نتيجة إبراله هذا التأثير بين الحروف ، كشف اللثام عن الظواهر اللغوية الصوتية المتمثلة في ظواهر الإدغام والإبدال والإعلال وغيرها من ظواهر القلب والإتباع . كما أدرك الخليل " أن لبعض الحركات تأثيراً في بعض .. ومن هنا نفهم حركة

(١) الخليل بن أحمد - أصالة ومنهجه ٢٣٩

(٢) الخليل بن أحمد - أصالة ومنهجه ٢١٧

(٣) الخليل بن أحمد - أصالة ومنهجه ٢٤٠

الإتباع في الإعراب كما في قراءة : الحمد لله ، بكسر الدال ، وكما في قولهم : " هذا حجر  
ضرب خرب " بكسر الباء في كلمة : خرب . وبين أن تألف الحركات في العربية ، إنما يرجع  
إلى ما يطلق عليه الانسجام الصوتي بين الحركات : فالعربي لا يآلف توالي أربع حركات في  
كلمة واحدة ، إلا أن يكون في الكلمة حذف . كما أدرك الخليل - أيضاً - وجود التفاعل في  
الكلمات ، حين يتألف بعضها مع بعض " ولم يكن ليدرس الحروف إلا على أنها مقدمة  
طبيعية لدراسة الكلمات أو لدراسة تأليف الكلام منها حيث نجده يقيع الكلمات ، راصداً  
استعمالاتها المختلفة ، ومراقباً ما يطرأ على هذه الكلمات من تغيير ، حيث أدرك أن بعض  
الكلمات يلزم حالة واحدة ، وتلك الكلمات هي المبتنية ، وبعضها الآخر يتغير بتغير التراكيب ،  
لإعرابها عن المعاني المختلفة التي تتعرض لها في التأليف .

لقد وصل الخليل من خلال إدراكاته للأصوات والحروف والكلمات ، على النحو الذي  
أسلفنا ، وصل إلى دراسة جديدة ، هي الهدف من هذا كله . إنها تتعلق بأسباب تغيير  
أواخر الكلمات بتغيير موقعها في التراكيب ، ومما لا شك فيه أن أساس هذه الدراسة ، هو  
الكشف عن المؤثرات المختلفة : التي تؤدي إلى مثل هذا التغيير ، هذه المؤثرات ، هي  
العوامل .

ومن هنا ، فإننا نؤكد أن فكرة الماكمل في النحو العربي ، قد نشأت نشأة لغوية حقاً  
ابتداءً من التأثير والتفاعل بين الأصوات والحروف ، وانتهاءً بالمؤثرات الفاعلة في تغيير  
أواخر الكلمات داخل التراكيب المختلفة .

ولسنا نحتاج إلى جهد كبير ، لكي نؤكد أن النحاة العرب ، قد أدركوا فكرة العامل ،  
وأن أبواب النحو العربي كله ، قائمة على هذا الفكرة ، وأنها نشأت كما ذكرنا نشأة لغوية ،  
من خلال عنصر التفاعل والتأثير ، وأنها بذلك ، تكون قد استمدت أصولها من ذات المعين  
الذي استمدت منه النظرية التوليدية التحويلية نظرية " العامل والربط السياقي " وأنهما  
قدكروا من معين واحد !

وليس من شك أن نظرية العامل في النحو النحو العربي ، قد انحرقت عن مفهومها ،



الذى رسمه نحائنا الأوائل ، ذلك المفهوم المبني على مبدأ التفاعل والتأثير بين العناصر اللغوية المختلفة . التى تهم فى بناء الجملة ، بعدما أقحمت الدراسات الفلسفية والمنطقية والفقهية على مصطلحات الدراسات النحوية ؛

وبعد .. فإن تشومسكى وهو بينل قصارى جهده من أجل بناء نظرية لغوية متماسكة قد أيقن بعد العديد من الإضافات والتعديلات والتحسينات التى أجراها على نظريته منذ ظهورها فى كتابه التراكيب النحوية سنة ١٩٥٦ م ، نقول بأنه أيقن أن : نظرية العامل والربط السياقى ، تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال ، بحيث أصبحت القواعد التوليدية قادرة على إعطاء التفسير الكامل والتحليل اللغوى الشامل للتراكيب النحوية ، فى بنيتها السطحية بون لجره إلى قواعد التحويل فى الأبنية العميقة .

وإذا كانت هذه النظرية ، وهى تمثل الكفاءة التوليدية المثلى التى توصلت إليها النظرية التوليدية التحويلية ، بعد جهد وعمل ومثابرة امتد إلى ما يقرب من ربع قرن ، فجاءت نظرية العامل فى نهاية المطاف لتكفل هذا الجهد وتلك المثابرة ، فإن الخليل بن أحمد ، قد أدرك أهمية العامل وقدرته قبل ألف عام أو يزيد ، وأنه أدرك أهميته منذ البداية فى دراسته للأصوات ، ومن ثم فإن تشومسكى وإن كان قد انتهى بنظرية العامل ، فإن الخليل ، قد ابتدأ بها ؛

لقد أخلص علمائنا الأفاضل ، علمائنا العرب الأوائل فى دراستهم للغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، لمبذوا الجهود المحمودة للكشف عن خصائص تلك اللغة الشريفة بكل ما أوتوا من ثاقب نظر وحمق إدراك .

فجزاهم الله عن جهودهم خير الجزاء .

والله تعالى ولى التوفيق .

إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير

د . حسام اليهنسارى

فى يوم الخميس ٢٠ من ذى القعدة ١٤١٢ هـ

الموافق ٢٢ من إبريل ١٩٩٢ م